القديس أنبا بولا

قصة برية شيهيت

فى القرن السابع

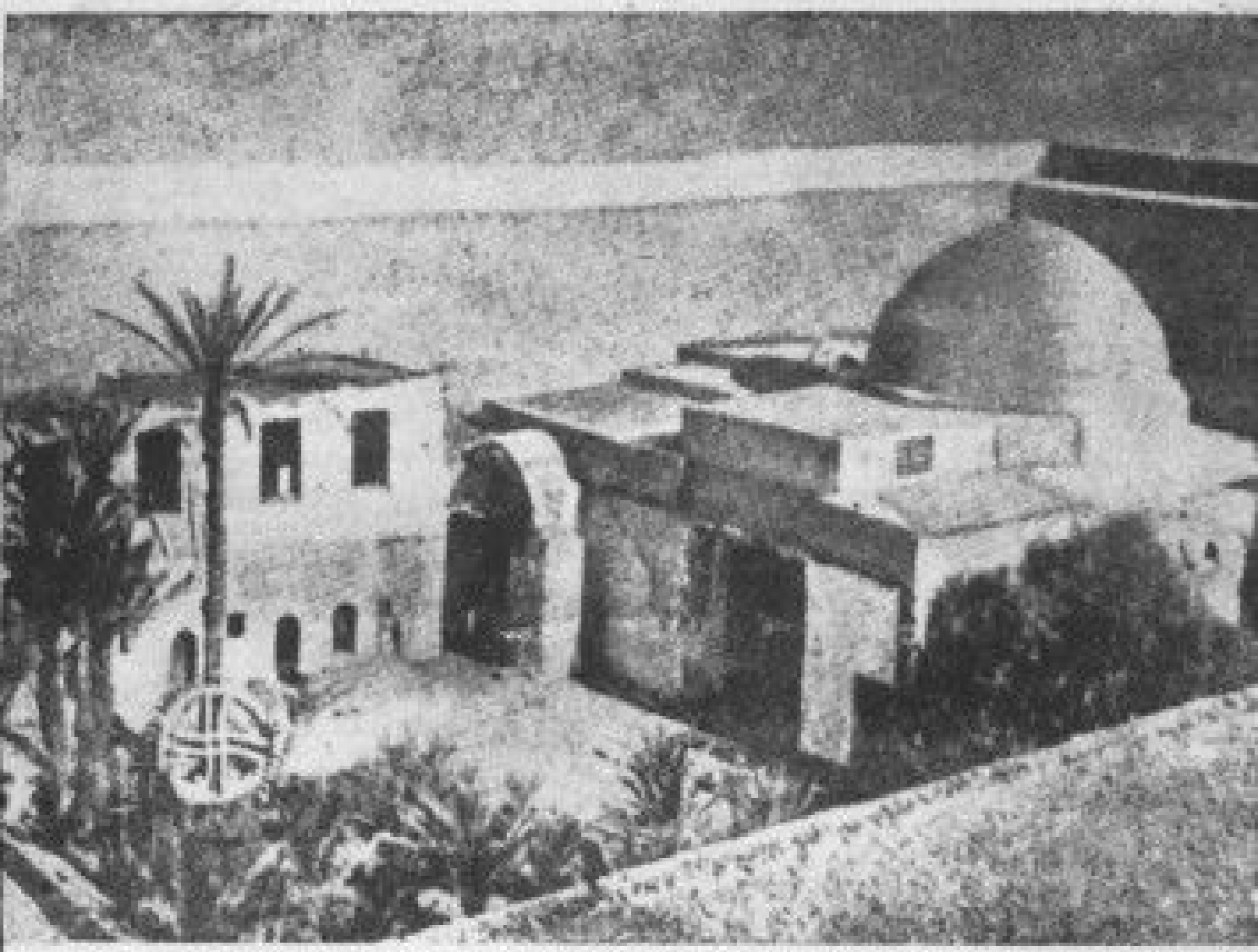

كنيسة القديس مكاريوس الكبير بديره بالبرية

يوسف حبيب

١٩٦٨

القديس أنبا بولس

قصة سيرة شهيد

في القرن السابع

عيد نياحة القديس

٣٠ كيهك سنة ١٦٨٤

٨ يناير سنة ١٩٦٨

يوسف حبيب

حضرة صاحب الغبطة البابا المعظم أنبا كيرلس السادس
بابا وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

باسم الآب والابن والروح القدس اله واحد امين

بمعونة الرب المتحنن يظهر بين حين وآخـــر بعض التراث الروحى النفيس ، والإرشاد الدينى الرفيع ، مما جادت به قرائح القديسين العظماء نفعاً للمؤمنين وتنويراً لهم. وليس أبلغ من سيرة قديس من القديسين فى إظهار ذلك لنا . ولنجدن معظم ما كتبنا عنهم كانوا من عظماء الرهبنة وذلك لأن فى سيرهم منبع الفضائل الباهرة والإرشاد الروحى الصافى فى إشعاع ساطع ، وفيها الغذاء الباقى النافع . ولا عجب فإنها مستمدة ممن هو نور العالم المسيح يسوع نفسه ، من يتبعه لا يمشى فى الظلام .

نعم قد عمت أنوار فضائلهم الساطعة المسكونة بأسرها فى كل زمان ومكان . واغتذى بتعاليمهم وســـلوكهم المؤمنون فى كل الاقطار . أنها طعام لا يستطيع الكثيرون فى العالم أن يعرفوه ، إنه عمل مشيئة الآب .

وسنأتى هنا بسيرة القديس أنبا يؤانس قص برية شيهيت ، ذلكم القديس الذى نجده فى كل أدوار حياته وفى كل تصرف من

تصرفاته، وكلمة من كلماته ـ فى صلاته وتأملاته ، فى خوفه وورعه فى نسكه وزهده ، فى رعايته ورئاسته يقدم لنا دروساً عملية روحية عميقة الأثر متجددة فى فعاليتها ، قوية فى بركاتها ، شاملة فى كمها وكيفها .

عند استعلان كلمة الله من سيرته أحرى بها أن تغنى عن آلاف المجلدات من التعاليم والإرشادات البشرية. ولا يعرف قيمة الكلمة إلا المتأمل المدقق والمطلع الفاحص التقى السريرة الطاهر البصيرة ، ولا يرى ضوء الشمس إلا ذو بصر. وأن فى عظم تقوى القديس أنبا يؤانس قص برية شيهيت وطهارة نفسه أفضل قدوة وأروع الأمثلة .

وللقديس أقوال ووصايا وإرشادات وفحص روحى رائع أفردنا لها أجزاء خاصة فى هذا الكتاب ، كما أن إرشاداته لأولاده فى عصره تعتبر متجددة القوى والفعالية دائماً وهى صالحة لكل عصر يعرف الله وابنه يسوع المسيح . إنها أفخر تراث بل وأثمن ذخر لكافة المؤمنين .

وبعد البحث والتنقيب رأينا هذا التراث مفعماً بأقواله منيراً لشخصيته ومصوراً لدخائل نفسه الطاهرة والهامه . ووجدنا أن

أقواله وعظاته فى تجددها ومضائها كأنها كتبت للمؤمنين اليوم فى القرن العشرين .

سيرته تراث روحى عظيم لأن المرء يجد فيها كنزاً روحياً نفيساً وخفياً عن أعين الكثيرين .

وكان جيله بركة كبرى من بركات الدهور . تكاثرت النعمة مع جيله حتى يرى المؤمنون صورة جميلة له ويمكنهم أن يشعروا بغناها الذى لا يوصف ويروا تمجيد القديسين للآب الذى فى السموات .

نودع هذه الشخصية الحبيبة إلى نفس كل مؤمن ، والتى لها خطرها وأهميتها فى الرهبنة وفى الكنيسة ، كما كان لشخصية القديس مكاريوس فى القرن الرابع الميلادى .

نجد فى كل جزء من سيرته إذا أمعنا النظر درساً عملياً نافعاً للمعرفة الروحية ، وطريقاً سهلا واضحاً للرب فكان القديس يرى بعينى روحه ما لا يراه البشر العاديون. وكل ذلك مفصل ومرسوم فى سيرته حتى أنك ترى التعاليم الروحية فيها دانية إليك فى عذوبة وفى سلاسة وسهولة .

أجل، يمكن للقارىء المدقق ببركة هذا الآب أن يرى الطريق

أمامه فإن عليه شواهد موضوعة ، ولافتات مرفوعة ، بأقوال القديس وتصرفاته ، ووعظه وإرشاده ، وسلوكه وعمله ، وإعلاناته ورؤاه . وما أن يكشف عن سيرته حتى يرى القديس فى كل مكان ينير خفاياه ، ويبين أبعاده وزواياه . وليس أثبت فى النفس من سيرة تحوى الفضائل ناطقة والقداسة ظاهرة وباهرة . إنها سيرة عجيبة حقاً ، فيها أفضل وأغلى المعانى الروحية ـ فى صورة تاريخ نرويه وقصص نخبر به ونحكيه .

وقد أهتممت بتنقيحها وتهذيب عباراتها وترتيب ما جاء بها وتفصيل أبوابها وتوضيح ما غمض منها وما أشكل فهمه ، مع ترجمة ما امكننا الاطلاع عليه من شذرات مودعة بطون بعض المراجع ـ سواء ما تعلق منها بسيرته أو بسير معاصريه ـ مع التعليقات والتبويب .

وقد ظهرت مجلدات ضخمة عن آباء القرن الرابع ، الكبار منهم والصغار ، وتعددت المراجع ما بين مخطوطات ومطبوعات بلغات مختلفة حتى أصبح لدى الباحث معين لاينضب يستطيع أن يروى منه ظمأه . أما بالنسبة لآباء الرهبنة فى القرن السابع فيندر أن نجد عنهم مراجع .

كنت أرجو من زمن بعيد أن تخرج إلى النور سيرة هذا

الآب العملاق القديس أنبا يحنس قص برية شيهيت ، أكبر شخصية بين الرهبان فى برية شيهيت فى القرن السابع ، ذلكم النجم اللامع الذى ذكر عنه التاريخ أنه كان عندما يصعد إلى المذبح ليقدس القرابين كان يرى المخلص مع السيدة العذراء ، وكانت بصيرته تكشف عن أسرار عظيمة فقد ذكر عنه أيضاً رؤياه للكاهن الذى كان يقدس القرابين وهو سىء السيرة ، وكان يأتى ملاك معه سيف يطرد عنه الأرواح النجسة .

هذه الرؤى والاعلانات التى ذكرها التاريخ ورواها عنه القديسون الراحلون تدل على طهارة ممتازة كان متحليا بها ، حتى اعتبر فى صفوف السواح ، ويوجد للآن على الحائط البحرى لكنيسة السواح بدير القديس مكاريوس الكبير صـــور ـ أنبا يؤانس قص شيهيت وأنبا نوفر وأنبا إفرام وأنبا جورجى وأنبا ابلو وأنبا أبيب وأنبا ميصائيل وأنبا بيجيمى .

خليق بهذه السيرة العطرة أن توضع على منارة فتضىء لكل من فى العالم ، لكن مع الأسف لايوجد أى كتاب يتضمن سيرة هذا القديس سوى شذرات قليلة ، وبترتيب من الرب المتحنن وجدنا سيرة مختصرة للقديس ضمن سير قديسين آخرين بمخطوطة بدير البرموس تاريخها ١٢٩٩ ش ، ومن سيرة القديس أنبا صموئيل

المعترف الذى كان زميلا له فى الأسر، وغيرها من المراجع أمكن الاهتداء إلى بعض المعلومات نستطيع أن نضعها فى هذا الكتاب الصغير فتناوله أيدى القراء، إلى الوقت الذى يراه الرب لإظهار سيرة عنه كاملة مفصلة تليق بشخصه الكبير فى الروحيات. ونلخص سيرته فى الآتى :-

خلاصة

ترهب هذا الآب فى سن مبكر بدير القديس مكاريوس ببرية شيهيت ومارس كل ضروب التقشف والنسك كما كان محباً للصوم والصلاة فاختير للكهنوت، أخذ أسيراً ثلاث مرات، كما أخذ الأنبا دانيال قص برية شيهيت فى القرن السادس ثلاث مرات، لكن الأنبا يؤانس قضى سنين طويلة فى الأسر ذاق فيها صنوف التعذيب كما لاقى ضيقات كثيرة بسبب قرارات مجمع خلقيدونية.

لحق به الأنبا صموئيل المعترف فى الأسر حوالى سنة ٦٣٥ م حيث شاركه آلام الأسر، وقضى القديس يوحنا القمص زماناً طويلا فى الأسر - بعد انطلاق الأنبا صموئيل - وربما يكون ذلك إلى ما قبيل الفتح العربى.

بعد ما رده الرب من الأسر رسم قمصاً حوالى سنة ٦٤١ م

وبينما فى هذا الكتاب ما كان لقمص البرية إلى هذا القرن من سلطة عظيمة على البرية كلها، فكان حلقة الاتصال بين الأديرة وبين الآب البطريرك وكان يقوم بزيارة سنوية له فى عيد الفصح، وكان إلى جانب ذلك رئيسا لدير القديس مكاريوس.

كان الأنبا يؤانس القمص آخر القامصة الكبار فى القرن السابع وبعد نياحته لم يعد لقمص البرية سلطته الأولى، لأن هذه السلطة اندثرت بعد إنتقال البطريرك إلى مقر كرسيه بالاسكندرية بعد الفتح العربى وصار يعين من قبله مشرفا عاما على أديرة شيهيت وفى عصر البطريرك أنبا سيمون (٦٨٩ - ٧٠١ م) عهد إلى أنبا يوحنا أسقف نيقيوس تدبير شئون أديرة شيهيت ورهبانها.

كان الأنبا يوحنا القمص نشطاً جداً غيوراً محبا للأديرة والكنائس، ولما أخذ أسيراً لثالث مرة حوالى سنة ٦٣١ م كان مشغولا بإخفاء كنوز الدير فى قلب الصحراء. وبعد خلاصه من الأسر الأخير عاون البابا أنبا بنيامين البطريرك ٣٨ (٦٢٢ - ٦٦١ م) - بعد عودته إلى كرسيه فى عهد عمرو بن العاص الذى أعطى له أمانا بالرجوع ورجع معززاً مكرما - معاونة فعالة فى إصلاح وترميم الأديرة وتعميرها وفى بناء الكنيسة الجديدة للقديس مكاريوس وفى نقل أجساد التسعة وأربعين شيخا شيوخ

شيبيت إلى الدير ... وكانت للأديرة فى نفس هذا القديس[1] مكانة عظمى وكان ممثلاً غيرة .

كان القديس الانبا يؤانس كبيراً فى مركزه لكنه كان متضعاً الاتضاع الحقيق وكانت شخصيته جبيبة إلى كل نفس لعظم تقواه وورعه .

ولما قربت نياحته ظهرت له رؤيا تعله بذلك فجمع الإخوة حوله وأوصاهم الوصية الوداعية . وتنيح بسلام حوالى سنة ٦٧٥ م ، ومن عظم محبة أولاده له كانوا يأخذون قطعاً من كفنه للتبرك بها وكانت تشفى مرضى كثيرين .

والقديس أنبا يؤانس القمص يذكر اسمه فى بجمع القداس بعد الثلاثة مقارات وقبل الأنبا بيشوى مباشرة . وتعيد له الكنيسة فى اليوم الثلاثين من شهر كيهك، وتتلى سيرته بالسنكسار.

(١) كما كان للاديرة فى نفس هذا القديس مكانة عظمى كذلك كانت لها منزلة كبيرة فى نفوس الآباء البطاركة وكانوا ينالون منها البركات فنرى أن البابا سيمون آخر بطاركة القرن السابع لما مرض وكان مرضه شديدا وشعر بأنه مرض الموت قال لتلاميذه لنذهب إلى الوادى المقدس لننال بركات الآباء القديسين والرهبان ، فمضى الى الأديرة وبعدها رجع للاسكندرية وتنيح ، وكانت هذه آخر زيارة له للاديرة .

يوجد قديسون كثيرون باسم يوحنا (أو يحنس) لكن نظراً لأنه فى القداس يذكر اسم ثلاثة منهم وهم القديس أنبا يحنس القمص صاحب هذه السيرة والقديس أنبا يحنس القصير والقديس أنبا يحنس كاما القس ، فقد أتينا فى آخر الكتاب بملخص لسيرة الاخيرين أيضاً .

بركة صلوات الثلاثة يحنسات القديسين تكون معنا آمين .

يوسف حبيب

للقديس الأنبا يحنس قمص شيهيت وتوبيه

Χερε ΝΑΚ ωΙωΑ πιζητογμεηος
φα νιωφηρι ετ7ολμτ ννινογς
Ογηρ ν̀ȝιci ακωοπτογ ȝεν πεκτοπος
ȝγαμμοηι ειμοκ ζωc ΜΜΒωκ ν̀ελαχιστος
ν̀τ̄ νιcοττ ὲβολȝιτεν ΝιΒΑΡΒΑΡος
ȝεν 7εχμαλωτος
ΝΑΚωοπ νεμμογ ιωφρη7 ν̀ογαμηος
ΝΑΥ7χοογ ΝΑΚ ν̀χε πχc.
ΝΑΥμμενριτκ ὲμμαψω ζωc
Ιωα πωηρι ν̀ζεΒεδεος πιαποστολος
ȝεν πιερφει ΝΑΚΝΑΥ ὲτρεμπι εθνεcως
νεμ πεηcοις πιαημιογργος

ωογνιατκ νεμ νεκμαθιτης νιαστος
ΑΒΒΑ ΑΒρααμ νεμ ȝεοργιος
Αρετενcεν νετενωνζ ȝεν νιζωc
νινηcτια νεμ νιζγμμνος
ζανcοχεν ερεωτπ νε ΝΑΙΚΑΡπος
ετοι ν̀ωογωο ν̀7μετμμοναχος.

السلام لك يا سيدى القديس أنبا يؤانس القمص .

السلام لك من أبنائك فى القرن العشرين الذين عرفوك بعد أن بهرتهم سيرتك .

فتعلقوا بك وأحبوك .

يا صاحب العجائب التى تبهر العقول ؛

يا راعى الأنفس فى كل المجالات والحقول :

كم من أتعاب احتملتها ومشقات تكبدتها ... !!

ما أجل صبرك وما أقوى بأسك وجبروتك الروحى ... !!

قبض البربر عليك وكأنك عندهم عبد حقير ،
ثلاث مرات وقعت فى الأسر المرير .
بأيديهم الآثيمة ضربوك ، ومن قلوبهم المظلمة أبغضوك .
أنت أنت الحر المنطلق ، والشيطان هو المقيد الذليل .
قيدته فهوى صريعاً مكلوماً مهشماً بصلواتك .
سرت بينهم مثل حمل وديع .
كنت ضوءاً ساطعاً بل بدراً لامعاً .

+ + +

أيها القديس الروحانى :
نعم ما أعطيت ونعم ما به فضلت وعلوت .
ربى : هبنى لساناً ناطقاً وإن كان بمجد القديسين لايوصف .
السيد المسيح أعطاك القوة والنعمة ...
وأحبك كما كان يحب الرسول يوحنا بن زبدى .
منحك النقاوة وحسن الرعاية لتنير للجميع .
طوباك فى محبته لك وطوباك فى تعبدك له .
طوباك مع تلاميذك القديسين أبوينا أنبا إبرآم وأنبا جورجى .

طوباك مع أبنائك طيلة هذه القرون والسنين .
قضيتم حياتكم فى التسبيح والاصوام والتراتيل .
بل كنت مستحقاً معاينة أم الله ومجد يسوع المسيح .
طيب مختار هو هذا الثمر . ممجد ومجيب ورائع ، هو فخر الرهبنـــة ...
أيها المعلم والطبيب الروحى الماهر :
كلماتك أفضل من الشهد وأمضى من السيف .
فى كل لمحة من لمحاتك إشراقة أمل ولحظة رضا ووسيلة لنيل المغفـــرة .
فى كل طيف من ذكرياتك بلسم ودواء لكل ذى سقام .
فيها غذاء يشتهى وطعام .
هنيئاً لك ولتلاميذك ما أعلن لك .
أذكرنا معهم فيكون نصيبنا معك فى كل مرة نطالع سيرتك ، ونتأمل وصيتك ، ونستظل بوافر رعايتك مراعى الخضرة وارفة الظلال ـ آمين .

التعريف بالقديس كاتب السيرة

قبل نياحة البابا أغاثو أرشده الله إلى من يخلفه على كرسى البطريركية وكان قد تولى الكرسى بعد البابا بنيامين ٣٨ الذى عاصر الفتح العربى وكان يعاونه القديس أنبا يؤانس القمص صاحب هذه السيرة . وسنذكر طرفاً من أخبار هذا البطريرك وفضائله فى بداية السيرة .

كان يؤانس (السمنودى) وهو راهب حكيم بدير أنبا مكاريوس فى الإسقيط قد أصيب بمرض عضال مستعصى الشفاء. وذات ليلة رأى فى نومه إنساناً مهيباً لمسه فأبرأه وخاطبه بأن يقوم بما سيكلف به فقام لوقته ومضى إلى دير من أعمال الفيوم وبصحبته تلميذاه واختفى هناك . فظهر للبابا أغاثو فى رؤياه من قال له : أدع إليك القس يؤانس ليعينك ويساعدك وهو الذى يجلس بعدك على الكرسى فأرسل كهنته إلى أنبا مينا أسقف الفيوم يطلب منه أن يرسل يوحنا اليه .

وكان الأسقف يحب يوحنا لكنه لم يستطع مخالفة البطريرك فأتى يوحنا إلى الاسكندرية ففرح به البابا وأشار عليه البعض أن يرسمه أسقفاً لأحد الكراسى ولم يوافق .

وقيل عن يوحنا هذا أنه كان بهى الطلعة جداً حتى يلوح لكل من يرى وجهه أنه يرى وجه ملاك وأوتى من الله نعمة شفاء المرضى وعفة النفس والجسد ومسالمة جميع الناس . صار فيما بعد بطريركاً (البطريرك يوحنا ٤٠) وهو أبو اعتراف القديس يؤانس القمص وكاتب سيرته . قد دونها عندما كان قساً وكاتباً للبابا أغاثو .

وتساعد أقواله الدينية وأفكاره الروحية على وضوح الرؤية وجلاء الصورة عندما نريد أن نستطلع فى حدود قدرتنا بعض المعلومات عن مواهب القديس الأنبا يؤانس القمص الروحية الفائقة ، ولاسيما بخصوص ما ذكر عنه من الإعلانات المقدسة والرؤى والمناظر السمائية وغير ذلك من المسائل الروحية التى يندر أن يناقشها أو يصفها كاتب من الكتاب .

ومن كتابة الأنبا يؤانس البطريرك ٤٠ فيما بعد نرى فيه سلامة الفطرة وصدق الفكرة وروح النبوة والعفة والقداسة . وهى صفات مميزة للكتاب الأقدمين . لم يميلوا إلى بهرج اللفظ وتنسيق العبارة وخلت كتابتهم من التصنع والتكلف فجاءت قوية المعانى رائعة التصوير ، شديدة التأثير بأسلوب سهل بسيط يفهمه العامة قبل الخاصة فى غير مشقة .

وفى تنقيح ما أمكن العثور عليه من هذه السيرة حافظنا بقدر الإمكان على هذه الخواص حتى لا تمسخ هذه الصورة الجميلة التى تطبعها سيرة القديس فى قلوب القراء الفضلاء طالبى نفعه وبركاته الذين يتطلعون إلى معرفة كرامته .

وبمجمل القول أن القديس يوحنا البطريرك ٤٠ كاتب السيرة لم يكن يخوض مسائل علمية أو نظريات فلسفية وهو يكتب هذه السيرة وعلى قدر تقـــاوة قلب الباحث أو المطلع يكون فهمه للقديس . ولا يعرف حقيقة فضائل المسيحية إلا من كان نقى القلب مهما بلغ من العلوم الدنيوية أو الفلسفة والبيـان . ومن رام الفائدة من هذه السيرة فليتق قلبه ويطهر حواسه ووجدانه .

ولنترك القديس من خلال سيرته يخاطب عقولنا ويمس قلوبنا ويهدى وجداننا وتفكيرنا .

+ + +

بداية السيرة

باسم الآب والابن والروح القدس اله واحد امين

جاء فى المخطوطات : -

وسيرة أنبا يوانس[1] أول القسوس ايغومانس دير أنبا مقار بجبل شيهيت سطرها العابد لله القس أنبا يوانس أبيه الروحانى الذى صار كاتبا للمثلث الطوبى أنبا اغاثو البطريرك[2] تنيح فى ٣٠ كيهك بسلام من الله » .

---

(١) فى بعض المخطوطات كتب « أنبا يحنس القمص » .

(٢) أغاثو البطريرك التاسع والثلاثون (وفى القرن السابع) كان عالما كاسمه (أغاثو كلمة يونانية معناها صالح) وكان قساً فى الكنيسة مع البطريرك أنبا بنيامين ٣٨ ، وهو من واحى الاسكندرية وذكر عنه أنه كان يقرأ يزى العذارين فى مدينة الاسكندرية ويطوف ليلا يثبت الأرثوذكسيين المختفين ويقضى حوائجهم ويناولهم من الأسرار المقدسة ، وفى النهار كان يعمل فقة فيها آلات النجارة وبنظام أيام المضطهدين بأنه تجار حتى لا يعترضوا سبيله ومكث هكذا عشر سنوات حتى رجوع البابا الأنبا بنيامين بعد الفتح العربى فعينه وكيلا له فى تدبير البيعة ولما تنيح البابا أنبا بنيامين (٦٢٢ ـ ٦٦١) جلس القديس أغاثو على كرسى البطريركية ، وقد عانى كثيرا من الاضطهادات ، وقد تضايق من تصرفات ثيؤدوسيوس وهو من أتباع =

«صيت حسن هو ذكر القديسين كما هو مكتوب أن ذكر الصديق يدوم الى الأبد ، وكقول بولس الرسول « اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله » ، انظروا الى نهاية سيرتهم تمثلوا بإيمانهم عب ١٣ : ٧ » .

أنه ربح عظيم لنا سماع سيرة هذا الآب الطاهر ...

= كنيسة الأروام بمصر وكان رئيساً لجماعة المقيمين ، ولما شخص الى دمشق أخذ أمراً من الخليفة بإسقاط بقضاء على شعب الاسكندرية ، وما كان البابا يستطيع الخروج من باب قلايته . وقد أوصى تيؤدوسيوس أتباعه قائلاً « إذا رأيتم بابا الأرثوذكسيين ليلا أو نهاراً اهربوا بالمجارة واقتلوه وأنا المجاوب عنه » ، وكان غرضه من ذلك أن يكون بطريركا عوضه، أما البابا أغاثو فكان يصلي من أجله حسب وصية السيد المسيح .

وفي أيام هذا البطريرك هجرت البيعة التي على اسم آبا مقار وكثر الإخوة حتى أنهم بنوا القلالي بقرب الأسوار الخارجية للدير . . .

وقضى البابا أغاثو بقية أيامه مهنئاً برسامة الكهنة المستحقين للشرطونية الخالمين من الله وكان الناس يشكرون الله على أعماله حتى أكمل أيام حياته بشيخوخة حسنة . وقد أقام ١٧ سنة على كرسيه وتنيح في ١٦ هاتور سنة ٣٨٣ ش ٦٧٧ م ، وجعل جسده مع البابا بنيامين .

وبعد نياحته هرع تيؤدوسيوس الخلقيدوني إلى البطريركية وأوصد أبوابها وختمها بالشمع الأحمر فاستاء الأرثوذكسيون من هذه الوقاحة واستعان أرخن بسخا يدعى اسحق عليه بوالي المدينة ولما رفع الأمر إلى الوالي رفع هذا الظلم . أما تيؤدوسيوس فقد انتقم منه الرب وأصيب بالاسقاء ومات شر ميتة .

الفصل الأول
حياته الأولى ورسامته راهباً

ولد حوالى سنة ٥٨٥ م في بلدة شبرا ميليسين [1] وإن كان التاريخ لم يذكر لنا شيئاً عن فترة شبابه وحياته الأولى إلا أنه من الواضح أنه كان يحيا حياة طاهرة وكان إناء مقدساً منذ حداثته يواظب على الصوم والصلاة والاعتراف والتناول ومطالعة الكتب المقدسة حتى أنه اشتاق إلى سيرة الرهبنة في وقت مبكر وتزيا بالزي الملائكي وهو بعد شاب يبلغ من العمر حوالى الثمانية عشر ربيعاً [2] حوالى سنة ٦٠٣ م .

ويقول د . أوليري في كتابه « قديسو مصر » أنه ولد مابين ٥٨٥ - ٦٠٥م ، بينما ذكر ايفلين هوايت في كتابه أديرة وادي النطرون الجزء الثاني أنه ولد حوالى سنة ٥٨٥ م وذلك أرجح لأن أكثر من مصدر أثبت رسامته قصاً حوالى سنة ٦٤١ م وكان

---

(١) من أعمال «صا» وهي قرية صا الحجر المشهورة بمركز كفر الزيات .

(٢) ذكر ايفلين هوايت في كتابه أديرة وادي النطرون أنه ترهب وكان عمره ١٨ سنة أي حوالى سنة ٦٠٣ م .

لهذه الرتبة أهميتها فلم يكن ليتقلدها إلا من كثرت خبراته ،وأنه أمر ثلاث مرات آخرها كانت فى سنة ٦٣١ م وكان كاهناً .

وأن القديس عندما دخل إلى سيرة الرهبنة وابتدأ بالأعمال الصالحة بتعزية عظيمة واشتياق كبير وافترق عن الأهل والاقارب والاصدقاء وكل شهوات العالم كان يمضى قدماً فى التقشفات الصعبة والمعيشة الضيقة والرقاد على الأرض وفى الليالى السهر الكثير حتى استطاع أن يقطع أفكار الجسد ، هذه التى تصيرنا أعداء الله . صار هيكلا طاهراً لله ونال نعمة جزيلة وكان ينظر اعلانات كثيرة ودفعات كثيرة رأى القديسة مريم لانه كان ممتازاً فى طهارته ولانه اقتنى لنفسه اشتياقا كبيراً فى محبة والدة الإله القديسة مريم حتى أنه كان يعمل تذكارها المقدس فى يومها كل شهر .

وذكر عن تقشفاته أنه جاءت مرة الأربعين المقدسة فارتبط بفضيلة ألا يأكل طبيخاً طيلة هذه المدة .

+ + +

الفصل الثانى
رسامته قساً

لما أرادوا أن يقيموه قساً وما كان يريد أن يقبل هذه الرتبة من أجل عظم تواضعه وكان يعول على أخذ مشورة الآباء ومن بعد هذا إرادة الرب تكون ، فقام وذهب إلى ثلاثة شيوخ استشارهم فأوصاه اثنان منهم أن يقبل وقال الآخر لا تقبل فكان منقسما فى فكره ولوقته قام وخرج إلى الوادى يطلب من الله أن يظهر له هذا الأمر،وإذا صوت قد جاء اليه من عند الرب يعزيه ويعلن له بأن يقبل الأمر اليه،ولما طاب قلبه إلى أن هذا الاعلان من قبل الرب هكذا بخوف قبله . ولما صيروه قساً هو وصاحباً له رأى رؤيا . رأى الذى قسموه معه فى غرب الكنيسة وملاك ممسك بيده اليمنى والشعب مجتمع يمجدونه ـ وكان الطوباوى أنبا يؤانس داخل الهيكل وملاك واقف معه وبيده عصا وصليب على رأس العصا ، ولما رأى الملاك الشعب وهو يمجد افتخر أمام الملاك الآخر قائلا : أنهم يمجدون الذى أنا واقف معه أكثر من أنت واقف معه ـ أبينا القديس .

أجاب ملاك أبينا القديس ألا تنظر أنهم يمجدون اكثر ؟

ورفع ملاك أبينا القديس الطوباوى يده إلى فوق يعلن أن هذا قد ارتفع لكن القديس يؤانس سيرتفع بالاكثر ويكون عظيما بدرجة كبيرة جداً ، وهذه كانت علامة ونبوة عن سيرة أبينا القديس وقد صار عظيما فى برية شيهيت .

ذكر عنه تلميذه أنه رآه مرة داخلا البيعة والنور محيط به كشبه سحابة ويسير أمامه ، لأنه كان يسير فى أعمال النور وأما الذى يمشى فى الشر فإن الظلمة تحيط به من أجل أنه سائر فى أعمال الظلمة كما قال الإنجيلى يوحنا أن الذى يبغض أخاه هو كائن فى الظلمة .

وذكر عنه تلميذه دفعة قال : « لما كنت صبياً دخلت ليلة إلى الطوباوى لما فرغ من خدمة القليل ، وكان أبونا يتلو فى القداس الإلهى ، قال : فرأيت واحداً بهيئة كاهن لابساً حلة ملوءة مجداً جالساً مع أبينا القديس أنبا يؤانس ولم أعرفه من هو - وأردت أن آخذ بركة ، ولما صنعت هذا غاب عنا ، فحزنت عند رجلى الشيخ وطلبت اليه أن يعلمنى من هو ، فلم يرد أن يعلمنى لأنه كان يهرب من مجد الناس وكانت هذه عادة القديس فى كل حين يريد أن لا يظهر شيئاً من أعماله لأحد قط ... أخيراً ذكره لنا فعلمنا أن الذى كان أبونا الطوباوى يتلو قداسه المقدس هو الذى كان جالساً عنده فى ذلك الوقت .

الفصل الثالث
أسر القديس

كان ليوحنا ظروف مشابهة لدانيال القمص فكلاهما أخذ أسيراً ثلاث مرات ، بيد أن الأول - كما يبدو من سيرته - قد ذاق صنوف العذاب أكثر وكانت مدة أسره أطول .

أننا نعلم من سيرة الأنبا صموئيل بالقبطية بعض الأمور فيما يختص بأسر القديس يوحنا للمرة الثالثة فإنه لما وصل لومس لاون الى البرية سنة ٦٣١ م ، كان القديس يوحنا متغيباً عن دير القديس مكاريوس فقد كان بعيداً فى الصحراء الداخلية يخفى كنوز الكنيسة .

وهكذا كان الآباء الرهبان فى غاية الحرص واليقظة فكان إذا حدث إضطراب بسبب هجوم البربر أو إضطهاد بسبب المجمع الخلقيدونى أو لأى سبب آخر يبادرون إلى إخفاء كنوز الدير ، ولم يهملوا شأن الكتب أيضاً فكانوا يضعونها فى صناديق ويخبئونها . والمخطوطات النفيسة التى وجدها البرى مرجان فى خرائب دير الحامولى بالفيوم سنة ١٩١٠ تبين ذلك ، وربما لو

أجريت حفريات فى المناطق الاثرية يظهر الكثير من الكتب مدفونة فى أعماق الأرض بل آثار هامة كآثار الدير المتهدم التى عثرت عليها البعثة الفرنسية من حوالى ستين بمنطقة القلالى بوادى النطرون وعاينه حضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الانبا شنوده أسقف التعليم الكنسى والكلية الاكليريكية مع أعضاء البعثة .

كان القديس يحنس يتجول فى الصحراء وفوجىء بالبربر وكانوا يتخذون مكاناً قرب واحة سيوه مقراً لهم[1] كما ذكر ايفلين هوايت ، ولم تكن هناك غارة على الاديرة فى ذلك الوقت وبعد حوالى أربع سنوات أى سنة ٦٣٥ م لحقه الأنبا صموئيل فى الأسر أثناء عودته من الإسقيط إلى الفيوم ، لكن مدة أسر الأنبا صموئيل كانت قصيرة بينما استمر القديس يوحنا أسيراً لسنوات عديدة وربما كان قد تأخر أسره إلى قرب الفتح العربى.

ومن قصة الأنبا صموئيل بمخطوطات الأديرة التى اطلعنا عليها - وسنذكرها فيما بعد - نستطيع أن نعرف بعض التفصيلات عن أسر القديس أنبا يحنس للمرة الثالثة أما فى المرتين السابقتين

(١) يرى E. Amélineau هذا على أساس أن أنبا صموئيل استغرق ١٦ يوما ليعود من مكان أسره الى الفيوم ، وهذه المدة تكفى لهذه الرحلة - وخالفه بعضهم .

فلم تترك لنا المصادر التاريخية ما نستطيع أن نستدل منه على معلومات خاصة بالقديس فى هذا الشأن . كما أنها تبين إضطهاد الخلقيدونيين وسوء معاملتهم للقديس أنبا صموئيل .

وتفصيل ذلك أنه لما وصلت رسالة لاون إلى برية شيهيت لإجبار الرهبان على قبول قرارات مجمع خلقيدونية قال القديس لا يمكننا أن نقبل قرارات مجمع خلقيدونية ونعترف ببطريرك آخر سوى البابا الأنبا بنيامين البطريرك الثامن والثلاثين، وطلب الأنبا صموئيل أن يعطوه المنشور ولما أخذه مزقه أربا وربماه فعذبوه عذاباً شديداً وتركوه بين حى وميت ، وفيما هم يضربونه صادف الضرب عينه اليمنى فانقلعت فكف الجنود عن ضربه وأخرجوه من شيهيت ولكن الرب شفاه ومضى وسكن فى صحراء الفيوم فى دير القلمون وصنع له مغارة على بعد ميل من الدير .

وأعادوا إضطهاد القديس بسبب قرار مجمع خلقيدونية وأمعنوا فى تعذيبه وضربه، وصدر أمر بإقصائه عن منطقة الفيوم وبعد أن هجم البربر على القلمون عزم القديس على الهروب لكن البربر قبضوا عليه وضربوه بلا شفقة وحملوه إلى كورتهم حيث سبى القديس أنبا يؤانس قبله بحوالى أربع سنوات .

الفصل الرابع
لقاء فى الأسر

قد تضمنت مخطوطة دير البرموس لسيرة الأنبا صموئيل المؤرخة سنة ١٢٩٩ ش وصفا لهذا اللقاء المؤثر بين القديس الأنبا يحنس والقديس الأنبا صموئيل القلموني فى الاسر. ذكرت المخطوطة ما يلى : -

«... وبعد أيام قليلة وإذا بالبربر قد أقبلوا مجتازين فى البرية يطوفون الاماكن وينهبون أموال السكان فى البلاد القريبة من البرية ويسبون من قدروا عليه إلى كورتهم ، وبتدبير من الله اعلم أهل البلاد القريبة من البرية أن البربر قادمون فأسرعوا وأخذوا نساءهم وأولادهم وتركوا منازلهم وهربوا ، ولما كان الليل دخل البربر البلاد وأخذوا كل ما وجدوه ومشوا متوغلين فى البرية حتى وصلوا إلى الوادى المعروف بالقلموني فى طريقهم إلى كورتهم ، وكان القديس أنبا صموئيل داخل الحديقة قبل الكنيسة ينظف النخيل، وبينما كان يعكف على العمل أحاط البربر به وأمسكوه وضربوه ضربا مؤلما... ولما أخذ البربر أنبا صموئيل إلى كورتهم باعوه كعبد لأحد أكابرهم ، وبتدبير من الله اتفق بيعه مع أنبا يوحنا قص شيبيت فى طريق القرية التى بيعا فيها . وأرسل القديس أنبا صموئيل ليرعى الجمال » .

الفصل الخامس
حالة القديس فى الاسر

لما كان أنبا صموئيل يمضى إلى العمل فى الحقل كان يجتمع مع أنبا يوحنا ويتكلمان بكلام الله ويعزيان بعضهما بعضاً عن الاتعاب التى قبلاها ، وكانا يصليان صلوات كثيرة وطلبات وتسابيح روحانية ويعطيان المجد للمسيح فى كل وقت إذ جعلها مستحقين أن يجتمعا فى كورة بعيدة عابدة للأوثان ، وقد فشل البربر فى إقناعه بعبادة الشمس وفى إغرائه بالنساء لإفساد طهارته وعبادته ، وباعوه إلى أحد الخلقيدونيين .

وكان أنبا يوحنا وقد سبق أنبا صموئيل فى الاسر بحوالى أربع سنوات يعزيه ويقول له : « كن فى غاية التشدد واحترس يا أخى لئلا يكلفك هؤلاء السجود للشمس وكن قوى القلب ولا توافقهم على ما يفعلونه ، فقد ضربونى ضربا مبرحا من أجل هذا الامر ، وهذه هى عادتهم إذا ما رأوا الشمس طلعت يردون وجوههم للشرق ويسجدون للشمس قائلين : « حسناً قدومك يا سيدنا الشمس لانك أضأت علينا ظلمة الليل » ، وقبيل غروبها

يديرون وجوههم إلى الغرب ويسجدون لها قائلين : « يا سيدنا الشمس تمضى وتتركنا فى ظلمة الليل أســـرع واطلع وأضىء علينا » .. !! (١).

وكان الأنبا صموئيل فى الحقل مع القديس أنبا يحنس القمص وكانا يرعيان الجمال ويمجدان المسيح نهاراً وليلا بصـــلوات وتسابيح روحانية مكملين الخدمة حسناً .

وداع القديسين :

حدث بعد ذلك أن عتق الأنبا صموئيل من الأسر وتقابل مع القديس أنبا يحنس ولم يشأ أن يفارقه ويتركه وحده فى تلك الكورة ، وكان أنبا يحنس يطلب اليه قائلا : « بما أن الله عتقك أيها الأخ الحبيب فلا تجلس ههنا بسببى لكن أذهب إلى مكانك الذى أعده الرب لك ، وصل على فى المكان الذى أنت ذاهب اليه » ، فقال له القديس أنبا صموئيل : « تحفظ يا أخى فإن كل شىء قد حل بى سيحل بك وسيكبلون يديك بالحديد مع امرأة كما فعلوا بى ، فتحفظ ولا تدع الشهوة تقوى عليك لكى تخلص ، وبعد ذلك يأتى خلقيدونى وتباع له فيأخذك بعيداً وإن أنت

(١) مخطوطة دير البرموس ١٢٩٩ ش .

صبرت على الأمانة فسيطلقك الله بسلام » ، ثم استودعه الله ومضى إلى مسكنه الذى أعده له الرب .

يا لغزارة الدموع ، دموع الافتراق ، ما أحرها دموع الوداع .

قال الأنبا يحنس لأنبا صموئيل : « استودعك الله » ، فقال له : « لن تراني بعد الآن فى الجسد » ، ثم قال : « لكنه إن كنا لانرى بعضنا بعضا فى الجسد فإننا نرى بعضنا بعضا بالروح » . ثم قبلا بعضهما بعضا وافترقا بألم عظيم ، وانطلق القديس أنبا صموئيل إلى دير القلمون .

آلام القديس فى الأسر :

وقد لاقى القديس أنبا يحنس عذابا أليماً وذاق كثيراً من الآلام وهو فى الأسر ووصفت مخطوطة دير البرموس المؤرخة ١٢٩٩ ش ضمن سيرته العطرة أعمال البرابرة النجسة ومحاولتهم معه وفيها ما يلى : -

« ... اسمعوا الآن لأعلم محبتكم للإله بهذا الأمر الذى سمعناه من كثيرين يقولونه عن أبينا الطوباوى » : لما حمله البرر معهم فى السبى نالته أتعاب كثيرة منهم ، إما من جوع أو من أعمالهم النجسة التى كانوا يصنعونها . ومن بين هذه الأعمال ما ذكر عنه

أن امرأة أحد البرابرة ألقت عينيها على القوى أنبا يحنس ، تريد من قبل الشيطان أن تحله من طهارته ، مثلها مثل تلك المصرية التى ألقت عينيها على يوسف فهذه أيضاً صنعت مثلها، وليست وحدها التى فعلت هذا بل كثيرات أخريات صنعن هذا الامر وضيقن عليه ، وهو بالحقيقة مثل حجر الماس كان لا يدع فكراً نجساً يدخل إلى قلبه البتة ، ومن قبل نعمة الله التى تدبره خلص من الفخ الذى نصبه له الشيطان وحفظ طهارته مثل يوسف ، انها لقوة عظيمة هذه أن يقع واحد فى تجربة ويجاهد فيغلب .

هذا هو الجهاد العظيم بالحقيقة الذى يستحق كرامة جزيلة - وذكر لنا سيدنا البطريرك أنبا يؤانس رئيس أساقفة الاسكندرية (الـ ٤٠) ذلك أيضاً فى رسالته التى كتبها وهو متألم القلب من أجل انتقال أبينا الطوباوى من هذا العالم، ولاجل عظم اشتياقه ومحبته له وضع رسالة بين فيها كرامته وأورد فيها ذكر هذه الفضيلة الحسنة [1] .

---

(١) وفى سيرة القديس أنبا صموئيل المعترف خير تماثل وهو يتضمن ربطه بقيد من حديد مع جارية اشتهرت بالوقاحة ، كما فعلوا مع القديس أنبا يحنس ، الأمر الذى جعل القديس يضطرب ويحزن ويصرخ الى الرب طالبا إنقاذه، وقد خلصه الرب بعد جهاد كثير ووقت ليس بقصير اذ فكه =

وفى تلك الأيام التى عاشها القديس فى ذلك الموضع كان يعمل كل يوم ويعطونه قطعا معدودة من العملة النحاسية وخبزتين وكان يترك واحدة لنفسه والخبزة الأخرى يعطيها صدقة ، أما القطع النحاسية فكان يعطيها للبربرى الموكل بحراسته ، وكان فى ذلك الموضع مقيما على عبادته وفضائله دائماً .

خلاص القديس من البربر:

كان القديس أنبا يؤانس يطلب إلى الله أن يخلصه من ضيقات الأسر وكان يلتمس حيلة ليخرج ويخلص من أيدى البربر، وكانوا يحرسون أبواب المدينة نهاراً وليلا، فكان يطلب إلى الله صاحب الرأفات العظيمة أن يهبه الخلاص منهم. وكانت هناك إمرأة عجوز جالسة عند باب المدينة فكان يقول فى نفسه ، إذا أراد الرب خلاصى فأنا أخرج دون أن تنظرنى هـــذه المرأة ، وقد كان فخرج القديس ولم تنظره العجوز وهكذا خلص من أيدى البربر.

= بعض الأشخاص من القيد وكان قد أجرى بعض آيات الشفاء من بينها شفاء رجل مقعد من بطن أمه ، أذاع الخبر على جميع الناس عند ماشفى فانطلقوا الى القديس يطلبون بركته ، وقد وجدوه مقيدا فك بعضهم القيد الحديدى وهكذا خلص من التجربة وخرج منها نقيا كما يخرج الذهب من بوتقة النار .

كان خروجه ليلا ولم يكن يعلم إلى أين يمضى . لكن الله الذى هدى بنى إسرائيل فى البرية بعمود النار هدى أيضاً القديس فنظر نوراً يتقدمه حتى أتى به إلى موضع رجل شيخ كان فى دير صغير على جزيرة ، كان من عادته أن يشترى مسيحيين كثيرين ممن سباهم البربر . ولما علم البربرى الذى كان أبينا القديس عنده أنه قد هرب أسرع واقتفى أثره إلى أن وجده عند الشيخ . ولما رآه البربرى امتلأ غضبا وهم بقتله من شدة حنقه عليه، فلما رأى الشيخ ذلك قال له لا تصنع به شراً فأنا ما أتركه يمضى وأعطاه بعض قطع من النقود النحاسية .

ولما رأى الشيخ فضائل القديس أنبا يحنس أراد أن يقيم عنده لكن القديس لم يرد لأن ذلك الشيخ كان خلقيدونيا، وكان يطلب حيلة ليهرب إلى مقره ، وأن الله الصالح دبر له أمره وأرسل له معونة وأنقذه وأوصله إلى مقره آمنا معافى من كل مرض .

† † †

الفصل السادس
رسامة القديس قصاً

بعد خروجه من الأسر الأخير رسم قصاً حوالى سنة ٦٤١م، وكانت له سلطة كبيرة على برية شيهيت كلها كما كان أيضاً رئيساً لدير أبى مقار، وكان حلقة الاتصال بين الأديرة والآب البطريرك يرفع اليه مطالبها واحتياجاتها ـ كانت لديه مواهب متعددة وله نشاط ملحوظ فى كثير من المجالات وكان يهتم كثيراً بالكنائس والأديرة .

وبذل البابا بنيامين البطريرك ٣٨ (٦٢٢ - ٦٦١ م) مجهودات ضخمة فى إصلاح الكنائس والأديرة وكان القديس أنبا يحنس يبذل قصارى جهده فى إصلاح وبناء أديرة البرية وكان يسعى فى ذلك بهمة ونشاط وغيرة لخدمة بيوت الرب ...

وكان قد أصابها تخريب كثير بعد غارة البربر الرابعة [1] التى وقعت حوالى سنة ٥٨٠ م وكان هجوم قبائل البربر عنيفاً فى هذه الغارة حتى أن يوحنا موسكوس الذى زار مصر حوالى هذا

(١) قام البربر بثلاث غارات فى القرن الخامس حوالى ٤٠٨ و ٤١٠ و ٤٤٤ وفى القرن السادس وقعت الغارة الرابعة حوالى سنة ٥٨٠ م .

التاريخ لم يذكر شيئاً عن زيارته للإسقيط مع أنه كان فى الطرانه والقلالى ، ومما لاشك فيه أن عدد الرهبان فى ذلك الوقت كان قليلا وقد تشتتوا من المناطق الخطرة إلى الداخـــل فى مناطق أكثر أمنا .

تدريبه لتلاميذه على حل قوة الشيطان

قال عنه تلميذه : ذات مرة وأنا بالدير الشرقى فى نيرى[1] وكنت جالساً فى الكنيسة يوم قداس أقامه القديس رأيت الشيطان قد دخل وكلوم كثيرة فى رأسه وقد شجته من وسطها فتعجبت وتساءلت فى نفسى مندهشاً ما هذه العلامة هكذا ، وعلمت أن فضيلة قد تظهر فيخزى الشيطان حينذاك ، وعندما قدموا القربان المقدس تقدمت لأصعد وآخذ من الأسرار المقدسة المملوءة خوفا ورعدة ، وكان هناك شيخ له تليذ وكان ذلك التليذ قويا جداً يمشى خلف أبيه ليأخذ من الأسرار المقدسة ، وفيما أنا أمشى جئت فى وسط الاثنين وكأنى بهذا التليذ لكونه قويا قد لكمنى لكما كثيراً ، أما أنا فصنعت له مطانية قائلا اغفر لى . ولهذا حل قوة الشيطان كلها وأصابت الكلوم رأسه .

(١) برنوج ونيرى وردتا فى بعض المخطوطات وقيل أنهما جبلان إما أنهما يجاوران جبل شيهيت أو أنهما موضعان منه (تحفة السائلين) .

كثيرة هى النفوس التى خلصت من قبل ذلك الطوباوى بكلامه وبهيئته وأعماله .

قال له أخ دفعة انى أحب كتباً كثيرة ، قال له الشيخ أن الذى يستحق أن يقتنى له معرفة الله ومحبة نظره لايحتاج إلى كتب كثيرة ...

معاينة القديس للأرواح الشريرة ونصيحته

كان القديس يجلس يجلس فى الكنيسة فينظر الشيطان يدخل الكنيسة فى شبه نمس ويمضى إلى قوم من الإخوة يغمزهم فى آذانهم ، الذى كان يغمزه فى أذنه لوقته يقوم ويذهب ويتكلم عن صاحبه إما بنميمة أو بعمل آخر ـ وإذا ترك هذا يذهب إلى موضع آخر ويغمزه فى أذنه . وإذا قام الآخر فللوقت يصنع هكذا أيضاً ، لأن الشيطان يعلم أن شدة عظيمة تصيب من يتكلم فى الكنيسة فيفعل هذا ليجعلنا ملومين .

من أجل هذا أوصونا أن نتحفظ لئلا نتكلم بالردىء فى الكنيسة فلا نستحق أن نأخذ من الأسرار المملوءة خوفا ، فلهذا الذى يأخذ منها يجب أن يتحفظ بثبات وسهر لئلا يأخذ الحكم عليه .

الفصل السابع
الاعلانات المقدسة

تصور لنا حياة القديس صورة جميلة لعصره وللقرن السابع عامة وقد امتاز هذا الآب باعلانات سماوية نالها كما امتاز بمشاهدة رؤى مقدسة وبشعوره المرهف بهيبة هيكل الله وكرامته فى قوة ويقظة ووعى شديد . وكان يهزم الأرواح الشريرة ويحل قوة الشيطان وقيل عنه أنه عند ما كان يصعد إلى المذبح ليقدس القرابين كان يرى المخلص مع السيدة العذراء وكانت بصيرته تكشف عن أسرار عظيمة عندما يرى هذه المناظر السمائية الغامضة فى المذبح .

طوباك يا سيدى القديس أنبا يحنس القمص .

طوبى لعينيك لأنها كانت تبصر هذه الأمجاد .

ما أطهر قلبك وما أشد صفاء نفسك ، لذلك بالحقيقة استحققت التطويب من فم السيد المسيح ذاته القائل : « طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله » .

أيها الهيكل المقدس لله الحى :

ما أمجد سيرتك وما أقدس حياتك الكهنوتية .

حقاً أن هيكل الله مرهوب ومخوف جداً .

+ + +

لقد امتاز القرن السابع [1] الذى ظهر فيه القديس بأمور عجيبة وبأسرار باهـــرة كما أمتاز بظهور قديسين كثيرين كانوا عظماء فى روحانيتهم وكان قريباً منهم الملكوت . نرى فى المؤمنين فى هذا العصر وعياً بما لهيكل الله من الكرامة والقداسة . احساسهم مرهف وتعبدهم رائع . ولا يجوز القول بأن أزهى العصـــور وأرفعها إنتهى بانتهاء القرن الرابع أو الخامس .

وقيل أنه فى أيام القديس بارك الله البرية بكل بركة روحية وصنع الله خيراً لشعبه فزادوا وكثروا واستغنوا فى كل فضيلة بالروح القدس ـ فى الإيمان ، فى الرجاء ، فى المحبة ، فى البتولية والفضيلة ، فى الطهارة والرحمة ، فى محبة البشر والتوبة ، وفى الصبر وما أشبه .

وقيل أنه مع ذلك قد أثار الشيطان تجارب كثيرة وبنعمة الله وصلوات هذا الشيخ القديس تبددت .

---

(١) آخر بطاركة القرن السابع الزاخر بالقديسين الأطهار هو القديس البطريرك أنبا سيموؤن الذى بصلاته قام القس مينا من الموت .

وروى عن البابا أنبا بنيامين البطريرك ٣٨ أنه شاهد يد السيد المسيح المخلص على الهيكل وهى تمسح الهيكل عند تكريس كنيسة القديس مكاريوس الكبير التى عارن القديس أنبا يؤانس القمص فى بنائها ويقول فى ذلك القديس اغاثون القس فى عهد البطريرك البابا بنيامين وقت التكريس هو البطريرك ٣٩ فيما بعد :-

« ... فنالنى لذلك خوف عظيم ورعدة كما رأيتنى ، ولم تعلم أنت ولا الحاضرون سبب ذلك ، ولا ما رأيته وسمعته ثم قلت مع الآب يعقوب ، ان هذا الموضع مخوف ، وهذا بيت الله بالحقيقة . هذا هو باب السماء وموضع راحة العلى (١) .

وأقول أنا اغاثون القس « فى ذلك الوقت نظرنا اليه فإذا هو كالنار ووجهه يشرق بالنور . فلم يستطع أحد منا أن يكلمه بلفظة بل كنا مبهوتين .

إن مجد المسيح يراه القديسون والملائكة والقوات ومن أوتوا نعمة التمتع بالمناظر السمائية فى الكنيسة وفى مذبح الرب الرهيب .

ومن أروع ما كتب فى ذلك ومن أدق ما حفظه لنا التاريخ

(١) عن كتاب الثلاثة مقالات القديسين لدير السريان .

المقدس ما قاله عند تكريس هذه الكنيسة البابا بنيامين أيضاً وفيه أروع وصف وأوضح صورة للعبادة فى الكنيسة فى أيامه ومنه ما يلى عن مشاهدة البابا بنيامين ليد المخلص يسوع المسيح قال :-

« هذه خيمة الآب والابن والروح القدس » ودار حول الهيكل ثلاث دفعات وهو يقول « الليلويا » ثم تلى المزمور ٨٤ : ٢،٣،١١ قائلا « ما أحلى مساكنك يا رب القوات ، تاقت نفسى واشتاقت إلى ديار الرب . مذابحك يا رب القوات ملكى وإلهى وأكمل المزمور إلى آخره .

... وقال : « لقد حملت اليوم إلى فردوس رب الصباؤوت وسمعت أصواتاً لاينطق بها ولا تخطر على قلب بشر كما قال الرسول بولس الحكيم . فصدقونى يا إخوة إنى رأيت اليوم مجد المسيح قد ملأ هذه القبة ونظرت بعينى الخاطئتين الكف المقدس يد يسوع المسيح المخلص العالية تمسح مائدة هذا الهيكل المقدس ، وشاهدت اليوم السيرافيم والملائكة ورؤساء الملائكة وجميع قوات العلى المقدسة يسبحون الآب والابن والروح القدس فى هذه القبة ...

قوموا الآن يا أولادى نكمل القداس ونتال بركة الآباء ونمجد الله تعالى » .

إن هذه المناظر السمائية التى أهل لمعاينتها القديس أنبا يحنس القمص وأنبا اغاثون البطريرك وأنبا بنيامين وأمثالهم تذكرنا بما نبهت اليه القوانين الكنسية بالنسبة للهيكل بالذات وتعلمنا أن الاقتراب منه يكون بخوف كثير من الله وأن به ملائكته وقواته السمائيون . ومن الضرورى أن نعى ما جاء فى هذه القوانين فنعرف قداسة هيكل الله وكرامته ووجوب توقيره وسنأتى ببعض النصوص الهامة التى تبين ذلك وعن واجبات من يخدمون الهيكل من الشمامسة وغيرهم .

وفى جزء تال فى هذا الكتاب فى الفصل الحادى عشر منه يوضح هذا البطريرك القديس البابا بنيامين كيف كانت جميع طبقات الشعب المؤمن والفتيان والشيوخ والرعاة من البطريرك رئيس الاساقفة الى حاملى المجامر والصلبان يحتفلون ويتعبدون لله . وهنا يوضح لنا أن الكنيسة فيها تسبيح الملائكة والقوات السمائية.

وفى كلمات البابا بنيامين أغلى الذكريات القديمة وأقدسها ـ ترينا توقير هيكل الله أمراً مرسوما مدى الدهور . فى كل مكان يمجدون الله ـ فى كل كنيسة ، فى كل بلدة وفى كل عصر . فالهيكل ممجد ورهيب ومقدس وكريم وفيه ملائكته وخدامه . واليك النصوص :ـ

النصوص

عن قداسة هيكل الله وكرامته

نصت القوانين أن لايتناول فى الهيكل ألا أولو الكهنوت ، الشماس والقسيس والاسقف ، وأما الشعب فيتناول من الخارج أمام « باب الهيكل » ويؤيد ذلك أنبا ساويرس أسقف الاشمونين فى كتابه ترتيب الكهنوت الباب الخامس عشر عن الاغنسطس إذ يقول :

... ليصلى عليه الآب البطريرك الصلاة اللائقة بالأغنسطس وبعد الصلاة عليه ورشمه يناوله كتاب الرسائل ليقرأ على الشعب ثم بعد ذلك يناوله البطريرك القربان حال وقته وهو أسفل الهيكل قبل العلمانيين الذين أخذ منهم .

وحتى القس والشماس ذاتهما لايمكنهما أن يتناولا فى الهيكل إلا إذا كانا لابسين الملابس الكهنوتية .

وورد فى كتاب الجوهرة النفيسة فى علوم الكنيسة لإبن السباع الباب ٨٤ « إذا حضر قسيس للكنيسة من بعد قراءة التحليل الأول وأراد أن يتقرب فيتناول وهو أسفل الهيكل تأديباً له وتوبيخاً على عدم حضوره وكذلك أيضاً الشماس » .

وورد فى قوانين كيرلس البطريرك ٦٧ (١٠٧٨-١٠٩٢م) ما نصه : « ويجب على أولاد المعمودية توقير المذابح المقدسة والهياكل الطاهرة وتنزيهها عن دخول العلمانيين إلى المذبح بالجملة... ولا يطلع كاهن للقربان فوق درجة المذبح إلا وعليه استخاره (أى تونيه) ومن كان بغير استخارة فليقترب دون المذبح .

ان الهيكل مصرح للدخول فيه للشماس الكامل (الذياكون) والقس والاسقف فقط طبقاً للقوانين الكنسية [1] :

أن هناك تشديداً كبيراً حتى بالنسبة للكاهن من دخول الهيكل للتناول فلا يدخل إلا إذا كان لابسا تونيه فمن أجل جلال الهيكل وهيبته نرى أن الكنيسة فى تصميمها لمبانيها لابد أن يكون لهيكلها باب تدلى عليه ستارة ويغلق بالمفتاح ، فإنه من الملوك أو الرؤساء يستسيغ أن يكون فى مكانه الخاص بغير باب أو حراسة . ألا يعد ذلك إستهانة به وانتقاصاً لشرفه وكرامته ؟

(١) تقول مجموع القوانين فى ذلك :

« لا يحل لأحد من المؤمنين إذا لم يكن كاهنا (أى أصحاب الرتب الكهنوتية) أن يدخل إلى المذبح ليتناول القربان منه، ولا يجوز للنساء الدخول إلى الهيكل ولا يصلين فيه » ص ١٦ طبعة سنة ١٩٢٧ .

وجاء فى كتاب ترتيب الكهنوت الباب السادس عشر (بالمتحف القبطى) فيما يختص بواجبات الشماس أن عليه غلق باب الهيكل فلا يفتح إلا عند الصلاة لرفع البخور وفى القداس لرفع القربان عليه ، وبعد إنتهاء الخدمة يدلى ستر على بابه بعد غلقه ويكون المفتاح مع الشماس ، كما أن له أن يضىء قنديل الشرق ، وهذا القنديل يعلق فى فجوة الشرقية فى الهيكل أمام المذبح موقداً ليلا ونهاراً .

وليست رتبة القمص وحدها هى العظيمة القدر بل كل الرتب الكهنوتية حتى أقلها . وقد أعطى الشماس الكامل أو الفانونى (الذياكون) سلطانا كبيراً . فهو يأمر الشعب ويقول للصلاة قفوا ، وصلوا من أجل سلام الكنيسة . أخوتا رؤوسكم اسجدوا لله . . . الخ .

ويسمح للذياكون فقط بدخول الهيكل طبقاً للقوانين ولا يرسم إلا بعد أن يختبر .

ويجب أن يكون بلا لوم مثل الأسقف فالشماسية رتبة جليلة وما كان المسيحيون يتقدمون اليها إلا بكل خوف وحرص .

النصوص

عن واجبات الشماسة

ورد فى رسالة بولس الرسول إلى تلميذه تيموثاوس ١ ق ٣ : ١٠ .

« هؤلاء أيضاً ليختبروا أولا ثم يتشمسوا إن كانوا بلا لوم »

وفى مجموع القوانين ص ٦٥ عن واجبات الشماس[1] :

(١) فى مجموع القوانين الباب السابع ص ٦٣ و ٦٤ أيضا « أن يكون الشماسة هادئين مرتين ولا يتكلموا بلسانين ، رؤوفين ، وديعين ، غير متذمرين ، غير غضوبين ، لا يأخذوا بوجوه الأغنياء ، لا يظلموا الفقراء ، يتعبون لأجل الاسرار المسنة ، ويلزمون من له شيء من الإخوة ان يواسوا من ليس لهم » .

وفى ص ٦٧

«ليكن الشماسة عاملين لأفعال حسنة فى الليل والنهار فى كل موضع ومن خدم جيدا بلا خطية فإنه يربح له موضع المرعى .

خدمته خارج الكنيسة : ـ

(١) يفتقد المرضى والمسجونين والأيتام والأرامل .

(٢) يخدم المرضى من الشعب ، هؤلاء الذين ليس لهم أحد ويعرف الأسقف ليصلى عليهم أو يدفع لهم ما يحتاجون اليه .

(٣) يساعد الكاهن ، يعلم وينذر الشعب .

«ليكن أيضاً الشماسة بلا عيب مثل الأسقف» دسقولية ٣٤ .

خدمته داخل الكنيسة : ـ

(١) له أن يقف فى الكنيسة وهو شريك الكاهن فى الخدمة .

(٢) له حمل كأس دم المسيح لتوزيع الدم الزكى للشعب بأمر الكاهن .

(٣) له قراءة الانجيل إذا لم يقرأه الكاهن ـ وكان الشماس قديما يحمل الأنبل «المنبر» حيث يقرأ الانجيل وهو لابس الملابس الكهنوتية .

(٤) هو الذى يتولى لمس الأوانى المقدسة وحفظها بعد نهاية القداس .

(٥) يوقد قنديل الشرق .

(٦) يخدم فى الهيكل ويقف قبالة الكاهن القديم فى وقت القداس .

(٧) يغلق باب الهيكل بالقفاح وتدلى عليه الستارة ...

ولا يتناول فى الهيكل إلا القداس والقسيس والأسقف وهم أصحاب الرتب الكهنوتية فى الكنيسة .

أما عن رتب الاغسطس (القارىء) الايوذياكن والمرتل فقد ورد بشأنها فى مجموع القوانين ص ٧٦ ، أن يقوم كل واحد منهم فيما قسم له من الرتب ويشكر . المرتل مهمته الترتيل والقارىء عليه أن يقرأ ويعمل بما يقرأه :

« ... يعمل بما يقرأه فالذى يملأ سمع آخرين أما يجب عليه أن يعمل ما يقوله ؟ أليست هذه تسكتب خطية أمام الله ؟ » .

ويجب أن يكون ملما بالعهدين القديم والجديد ويعلم الشعب (ص ٦٩ من كتاب القوانين وكتاب الرسامات) .

وجاء فى شقافة مكتوب عليها بالصعيدية : « يتعهد الشمامسة بحفظ الوصايا والقوانين المفروضة عليهم وإطاعة الرؤساء وحفظ فراشهم نقياً مدة الاربعين والأيام المزمع فيها أن يتناولوا من الأسرار المقدسة وحفظ أحد الأناجيل غيباً ، يخدم فى الكنيسة ليلا ونهاراً ويصـــوم الأربعين المقدسة لغاية المساء . ويتعهد الشمامسة بملاحظة القنديل والمذبح (مقالة للتنيح يسى عبد المسيح بمجلة مدارس الأحد مارس سنة ٥٥) عن :

Crum Coptic Ostraca, London 1902.

وعن كتاب المباحث الجليلة فى الليتورجيات الشرقية .

فى وصاته يقال:

« . . . أظهر وجهك على القسائم أمامك الذى قدموه لك لينفر بأقوالك المقدسة التى لعهدى العتيقة والحديثة ويكرز لشعبك بأوامرك ويعلمهم كلامك الطاهر الذى من جهته يكون خلاص نفوسهم » .

وكان يختم القارىء والشماس وتؤجل الرسامة إذا رؤى ذلك حتى لا يضع الأسقف يده متسرعا ، وتقول القوانين س٦٩ ليقم الاغطس بعد أن يجرب أولا ، أما الايبوديا كون فلا ينال مواضع الشمامسة وهو مساعد لهم ولا يلمس آنية الرب . والرتلون (الايسلمدسون) فلا ترتيل س ٧٠ والمردات التى يقولها الشمامسة فى القداس هى للشعب المشترك فى الصلاة .

وبهذا يكون كل شىء قد عمل بترتيب ونظام ولكل عمله الخاص فى الكنيسة .

باب الرب

« هذا هو باب الرب والصديقون يدخلون فيه »

لابد للهيكل من باب ولابد من غلقه ثم يدلى ستر على الباب طبقاً لما ورد فى كتاب ترتيب الكهنوت باب ٣ ورقة ١٣٦ للقديس أنبا ساويرس بن المقفع الذى عاش فى القرن العاشر .

وذكر فى كل الخولاجيات المقدسة ، فى صلاة رفع البخور عشية أو باكر .

ويقف أمام باب الهيكل ويقول : « أليسون أيماس . . . » بعد ذلك يسجد أمام باب الهيكل .

وفى مواقف كثيرة من الصلوات ذكر أن الكاهن يقف أمام باب الهيكل . . .

ولا تزال كل الكنائس القديمة هيأكلها لها أبوابها تغلق دائما ومكتوب أعلا الباب « هذا هو باب الرب والصديقون يدخلون فيه . . .

لذلك لا ينبغى أن يظل الهيكل المقدس بدون باب أو بنصف باب طبقاً للتصميمات الحديثة - وإذا كنا لا نستسيغ أن نترك

غرف مساكننا بدون أبواب ، كيف نترك الهيكل دون باب ؟!

وليس ما نصت عليه القوانين مختصاً فقط بالقرون الأولى بسبب الاضطهادات التى وقعت فيها فالقديس ساويرس بن المقفع وضع كتابه « ترتيب الكهنوت » وأوضح فيه ذلك وقد عاش فى القرن العاشر فى عهد البطريرك القديس أنبا افرآم السريانى .

ليس ذلك فقط بل أن القوانين تحتم أن تكون هناك ستائر حول المذبح .

جاء فى الدسقولية : « ويكون المذبح فى وسط الهيكل وله ستارة تحوطه » ، ويكون حول المذبح ستور من ثياب مطرزة مطهرة باب ٣٥ ، فالكاهن يقدس وستائر المذبح مسدولة ونازلة من قبة المذبح (باب ٣٨) - ويقام المذبح على أربعة أعمدة تعلوها القبة التى تشير إلى السماء .

والكاهن لا يخرج بالذبيحة إلى كل الشعب لكن التناول يكون من الطاقتين الموجودتين بحجاب الهيكل - يحمل الكاهن الصينية ويقرب من إحدى هاتين الطاقتين ، والكاهن الشريك أو الشماس الكامل يحمل الكأس ويقرب الشعب من الطاقة الأخرى .

إذن لابد أن يكون هناك :

١ - باب كامل للهيكل يغلق بالمفتاح وتسدل عليه الستارة .

٢ - وجود الطاقتين بحجاب الهيكل للتناول .

٣ - إقامة المذبح على أربعة أعمدة تعلوها قبه .

وبهذا تحفظ لهذا المكان الطاهر قدسيته وكرامته وتوفر مذبح الرب هذا الذى لا يجوز لأحد أن يمسه حتى لو لم تكن على المذبح ذبيحة ما لم يكن من أصحاب الرتب الكهنوتية ولا يملك كائن من كان أن يتصرف فى بناء الهيكل والمذبح طبقاً لرغبات الناس الخاصة .

إن الذين يقومون ببناء الكنائس الآن مأمورون من قبل الله بتنفيذ ما نصت عليه القوانين - فى غير جدال أو مناقشة - والا نكون متعمدين كسر القوانين الكنسية ، لأنه ماذا يضيرنا لو رأينا للهيكل بابه وللمذبح أعمدته ولحجاب الهيكل طاقاته ، حسب ما ورد فى القوانين المؤيدة بالكتب الكنسية فى القرن العاشر والقرن الثالث عشر ...

وإذا كنا نجادل فى إقامة باب خشبى كامل للهيكل فماذا

يكون الحال لو طولب باقامة الشماس الكامل وهو الشماس القانونى ؟

أخشى أن ينطبق علينا ما قاله القديس أنبا بنيامين البطريرك ٣٨ «...لانه سيأتى جيل معوج يحبون مجد الناس أكثر من مجد الله ويدوسون هذا الموضع المقدس بقلة خوف ونفخة ...»[1].

+ + +

(١) من أجل أن المفرغ هكذا مخوف ومرهوب ، لذلك كانت شروط خدامه صعبة .

الفصل الثامن
إرشادات القديس

١ ـ كشف الأفكار للأب الروحى .

كان تلميذ لأبينا القديس ساكنا على حدة وحده وكان الشيخ يحبه كثيراً وكانت له أيضاً أمانة عظيمة فى الشيخ يعلمه الحقيقة فى غير حسد ويعرفه كل طريق الله ويدبره بكل مشورة حسنة . كان هذا التلميذ يقول : «كل تجربة تلحقنى إن كانت فى السر أو الجهر يعطينى الله راحة منها سريعـــاً إذا ما نظرت إلى وجه الشيخ» .

جاءت على ذلك الأخ تجربة فى ذلك الزمان، تلك التى يسمونها الحرب العظيمة وهى التجديف ، حتى أنه من قبلها صار قلقاً جداً واعتراه حزن عظيم وكان فى قلبه ضيق كثير ، فمن تدركه هذه التجربة يتضايق جداً ويتعاظم حزنه إلى أن يتحنن الله الرحوم عليه ، كان التلميذ يجاهد ولم يعلم أحداً بتعبه إما خشية العار أو من أجل الخوف لأن هذا الأمر لايليق أن يظهره أحد قدام الناس . ولما رأى أن الضيق يشتد عليه جداً قام ومضى إلى أبينا

أنبا بؤانس القمص وطلب اليه قائلا : أذكرنى يا أبى فإنى متضايق ومتعب جداً وقد جاءت على شدة قاسية جعلتنى غريباً عن الله ومن نصيب قديسيه ، فقال له الشيخ : ماهى ، قال له: لا أستطيع أن أقولها بلسانى لأنها خوف وفضيحة ، فقال له الشيخ : ألعلها الحرب العظيم ، هذا ما يتعبك ؟ فأجابه الأخ : انها الحرب العظيم يا أبى ، فقال له الشيخ ، أنه روح التجديف . لا يستحى الإنسان معه أن يفتح فاه على الله وعلى قديسيه بالتجديف والاستهزاء ... هو الروح الذى يتعب القديسين بالأكثر ويجتهد أن لايدع الإنسان يذكر الله ، يريد أن يجذب النفس إلى أسفل بقطع الرجاء ... فلما سمع الأخ هذا إمتلأت عينيه بالدموع وقال هوذا الله قد أعلمك يا أبى بتعبى وحزنى ، فقال له الشيخ : لا تخف ولا تقلق ولا تهرب من قدام هذا الروح الشرير يا إبنى ، لأن الله رؤوف يعرف أن هذه الأفكار ليست هى مناولا أنفسنا تريدها كما قال أحد الآباء . وليس فى العالم حق كهذا قط ، وأن إرادة هذا الروح الشرير هى أن يرد همتنا إلى خلف لئلا نقف ونبسط أيدينا أمام إلهنا وبذلك يهلك رجاؤنا بالله .

فلا نطيب قلوبنا معه فى كل شىء يريد أن يصنعه لئلا يبطل عزمنا بل نقاومه بقوة السيد المسيح الذى يعضدنا . وأنت يا إبنى

فلا تقلق ولا تجزع ولا تعطى ذاتك للانحلال واللعب وكثرة الكلام ، بل أهرب إلى داخل مسكنك وتفرغ للصلاة واطلب إلى الله بقوة قلب ودموع ، ولا تمط ذاتك لشغل اليد على الدوام بغير إنقطاع بل التجىء إلى الله واحتمل منتظراً رحمة الرب كما قال أيوب الصديق انتى هربت إلى الله ليؤدبنى ، وأنا أؤمن أن الله سيعطيك راحة من هذه التجربة ...

٢ ـ الصلوات والطلبات وانتظار رحمة الرب

عاد الأخ الى قلايته وصنع كما قال له الشيخ وتفرغ للصلوات والطلبات ولم يكن يهتم بشى آخر سوى هذا مع شغل يد قليل وفى كل فترة بسيطة كان يقوم ويخر أمام الله ويطلب منه أن يرحمه ويعطيه نياحا من هذه التجربة . وأقام أياما قلائل وهو يصنع هكذا كقول الشيخ القديس ، والأكثر مافى الشيخ يصلى عنه .

وفى أحد الأيام بينما كان الأخ جالساً يعمل وفكره منطلق الى فوق نحو الله صرخ صوت فى أذنيه قائلا : « أرفع عينيك الى السماء » . الصوت سمعه بأذنيه وأما المتكلم معه فلم يره .

رفع عينيه الى فوق كما قال له الصوت قال فنظرت وإذا صبى قبيح أسود اللون معلقاً فى الجو بيديه ورجليه بشدة حتى خلت أنه

يتقطع من وسطه ، وبينما أنا أتأمله قال لى ذلك الصوت ارفع عينيك الى السماء فنظرت وإذا بجنود سمائية تتطلع لذلك الصبى الأســـود المعلق فى الجو ، ورأيت أيضا ربوات من الناس على الأرض يتطلعون إلى فوق يشاهدون ذلك الأسود ... ثم قال لى الصوت هذا المعلق فى الجو هو الذى جلب عليك هذه الأتعاب كلها والتجارب ـ وهذه الجموع الكثيرة التى تنظرها فى السماء وعلى الأرض يشاهدونه معلقاً فى الجو . هم القديسون يشاهدون حكم الله ويرون الغضب الذى جاء به عليه ...

يقول التلميذ :

ثم إنى قمت ومضيت إلى الطوباوى أنبا يؤانس وأعلمته بالذى رأيته وسمعته وكنت خائفاً لئلا يكون هذا الأمر من الشياطين ـ أما هو فلما سمع ذلك فرح وعزانى قائلا : لا تخف يا بنى فليس هذا الأمر باطلا بل صحيحـــاً . والآن علمت أن الرب قد سمع ورحمك من التجربة التى كنت متضايقاً منها ، ومن الآن لن يعود إليك ولن يتعبك بعد .

وقال له :

وأنا أيضاً يا ابنى أصابنى هذا فى أوائل أيامى وهذه الحرب

بعينها أتعبتنى جداً وتضايقت منها وقلقت مثل ما صنعت بك أنت أيضاً ، حتى قلت كلام أيوب انى أطلب الموت ولا أجده .

٣ ـ طريق الخلاص من التجربة

فى أحد الليالى وقد صرت فى رؤيا كأن السماء قد انفتحت ومجد المسيح الله قد نزل على الأرض وانظرت وكأن طقوس السمائيين والأرضيين جميعهم وقوف أمامه ، فكنت أســأل من هو هذا الذى له هذا المجد العظيم محيط به ، فقال لى واحد من القيام هذا هو المسيح ، وكنت مفكراً فى ذاتى أنه حان الوقت الذى فيه أشكو اليه ليحكم لى وكنت أطوف بقلب حزين أروم أن أقترب اليه وأشكو اليه فلم أستطع ، وبعد أتعاب كثيرة استطعت أن أجد والدة الإله القديســـة مريم فطلبت اليها أن تتضرع إلى السيد المسيح من أجلى لكى يخلصنى من هذه الشدة ، فقالت تعال أنا أحملك اليه أما أنت فاسجد له واطلب منه قائلا :

« ارحمنى يا سيدى لأن طبيعتى ضعيفة » وصنعت كما قالت لى سيدتنا كلنا وحملتنى وأوقفتنى أمامه ووقفت معى فخررت تحت رجليه ساجداً وطلبت اليه قائلا :

« يا رب ارحمنى لأنى ضعيف ومسكين وخلصنى من هذا التعب الذى يحيق بى » .

فلم يجبنى بكلمة - فتشفعت العذراء القديسة طالبة أن يتحنن على ضعفى لأن طبيعتنا ضعيفة ، فقال الرب سبق وأوضحت طريق الشفاء فليتخذه لنفسه هو وحده فيخلص ، فقلت يا سيدى لست أعلم ما هو الشفاء فأفهمنى الرب المثل الذى قاله فى الإنجيل - كان قاض فى مدينة لا يخاف الله ولا يستحى من إنسان وكانت أرملة فى المدينة تأتى اليه قائلة انتقم لى ممن يظلمنى... ،فقلت نعم يارب، فقال لى امض واصنع هكذا وأنت تخلص .

ومن بعد هذا قمت من الرؤيا بخوف ورعدة عظيمة وعلمت فى ذاتى انى كنت كسولا فى أمر خلاصى بعدم مداومتى فى الصلاة لله ، وأن هذا المثل يعلمنا أن نقترب اليه ونسأله بلجاجة . ومن بعد هذا تركت عنى كل إهتمام وقلق شغل اليد وأعطيت قلبى للصلاة بقوة قلب عظيمة . وكنت أقوم فى كل وقت وأطلب من الله أن يرحمنى ويعينى لدرجة إنى كنت أقوم فى اليوم نحو ثلاثين مرة وأكثر .

٤ - فعل الصلاة

يقول القديس :

ومن بعد أيام قلائل كنت أصنع فيها هذا وبينما كنت منفرداً قلبى متعلق بالله وكنت أعمل فى شبكة تلفت وإذا بصبى صغير

أسود اللون جسده كله قروح ، وكان قلقاً كمن هو فى السبى، يسرع إلى هذه الناحية وتلك ، لايستطيع أن يجلس أو يقف . نظرت اليه وأنا أفكر من هو ، وقفت أصلى فصار كأسير وشرع يصرخ حسبك حسبك . . . كفى محاربة ، فلست أكلمك بعد ، وكان قلقاً يسير إلى هنا وهناك كالمربوط فى الشبكة . سألته من أنت ؟ أجاب : ألم تعرفنى من أنا ؟ ، أنا من ألقيت هذه الاتعاب جميعها عليك ، وسألته ما هذا الذى فى جسده ؟ قال أنها رماح . قلت ومن ياترى صنع بك هكذا ؟ قال : فى كل مرة تقف للصلاة تصيبنى ضربة ، حتى نالتنى هذه الجراحات جميعها بسبب طلباتك، فلا تصلى من الآن . . . فلست أتعبك بعد ، وكان مفتضحاً عائقاً ومرتعداً من الصلاة .

قال القديس :

وداومت على الصلاة بقوة قلب حتى غاب ولم يستطع منذ ذلك اليوم أن يعود ليتعبنى البتة .

فأنت أيضا يابنى تقوّ وثبت قلبك فإنه منذ اليوم قد أعطاك الرب راحة من هذه الحرب ، فلا تدع قلبك يميزها بغير إهتمام لأن أعداءك يحاربونك مرات أخرى ولا يتخلوا عنك البتة ، فتحفظ ولتكن متقدماً إلى الأمام تصنع أعمالا حسنة فإن الله

لا يتخلى عنك ولا يسلمك إلى أيدى أعدائك ، ولما نال الأخ قوة قلب وعـــزاء مضى إلى قلايته ، ومن ذلك اليوم لم تعد هـذه الحرب تتعبه .

يقول القديس تليذ الشيخ :

قلنا لكم هذا لتعلموا بهذه الأمور فيكون فيها عزاء ويقظة للأنفس المتضايقة التى تحزنها الحـــروب ، إذا سمعوا وعلموا لا يجزعوا ولا ينحلوا بل يقوموا بقوة ، لأننا قد علمنا هذا من قبل أبينا القديس أنه ليس شىء يستطيع أن يهدم هذا الفكر إلا الدموع والطلبة إلى الله بلجاجة مع رحمة ومعونة ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح .

٥ ـ ملكوت السموات

سأل إخوة أبانا القديس أنبا بيوانس لماذا أنت وجل خائف من مجد الناس بهذا المقدار ؟ أجاب وقال أهناك إنســان ناطق يخاف الله إذا قال له قوم أترك خصمك فى ملكوت السموات ونعطيك كل أموال الأرض وكل الكرامات التى تعطى للناس ، يطيب قلبه بكلامهم ويفتخر بكرامتهم ؟؟ قالوا : كلا . فأجاب الشيخ إذن فابكوا على وعلى من يشبهنى لأن هذا الملكوت هو هكذا لا إنتهاء لعظمته ، أما لذة الجسد والسيرة الفاســدة فلا تستحق شيئاً ...

٦ ـ احتمال ما يأتى علينا :

ســأله أخ ذات مرة قائلا إصنع محبة يا أبى وقل لى كلمــة أستطيع بها أن أخلص ، فقـال له الشيخ : أمض واحتمل كل عار وخسارة تأتى عليك ، لأنه فى الوقت الذى يأخذ فيه الإنسان على صاحبه أمراً يتسلط عدوه عليه مثل ما سبق وفعله آدم إذ أخذ من الشجرة فوجد العدو طريق الدخول إلينا لأننا قد آثرنا الشجرة على الصاحب .

٧ ـ نعمة ادراك الأسرار وقت القداس

كان خوف الله ثابتاً فى نفسه وبالأكثر فى اليوم الذى يقدس فيه . وكان يتحفظ لئلا تخرج كلمة بطالة من فيه ، حتى أنه من قبل خوف الله الذى كان فيه وعظم تحفظه إستحق نعمة إدراك الأسرار ، وإنه دفعات كثيرة عندما كان يقدم القربان المقدس كانت تدرك نفسه راحة عظيمة كمن انتقل إلى الدهر الآخر فيخال فى نفسه كأنه ليس كائناً على الأرض ، وإذا أكمل القداس الطاهر وبلغ إلى وقت تقديس الكأس كان ينظر اليه مثل شىء يغلى وكان لا يستطيع ذلك براحة لعظم خوفه .

٨ ـ تمييز الخطاة عن الصديقين

ولكثرة ورعه وعظم تقواه كان يعرف الخطاة ويميزهم من

الصديقين. نظر مرة أحد القسوس آتيا إلى الكنيسة ومعه أرواح نجسة محدقة به ، فلما وصل القس إلى باب الكنيسة خرج ملاك من الهيكل وبيده سيف من نار وطرد عنه الأرواح النجسة ، فدخل وارتدى ملابس الكهنوت وقدس وناول الشعب من الأسرار المقدسة ، ثم خلع الملابس الكهنوتية وخرج ، فعادت اليه تلك الأرواح الشريرة وأحدقت به كالأول .

هذا القول قاله القديس الأنبا بيوانس لجميع الإخوة الرهبان ليعرفهم أنه لا فرق فى خدمة الكهنوت بين الكاهن الخاطىء والصديق ، لأن الخبز والخمر إنما يستحيلان إلى جسد المسيح ودمه الأقدسين بقوة التبريك والدعاء من الكاهن الحديم، ولأجل أمانة الشعب أيضاً .

وضرب لهم مثلا قال : ان خاتم الملك ينطبع على الحديد والذهب والخاتم واحد لا يتغير ، كذلك الكهنوت واحد مع الخاطىء والبار ـ والرب هو المجازى لكل واحد حسب عمله .

+ + +

الفصل التاسع

حديث للقديس قبل نياحته

وعظته الجامعة ووصاياه

لما قربت نياحة أبينا الطوباوى كان ينفرد فى موضع توحده وتنيح أحد القديسين فى زمانه وكان متوحداً وصديقاً له ورآه فى رؤيا وسلم عليه فقال له : « مبارك هو الرب لأنه رحمنى جداً ، عرفت يا أخى الحبيب انى قد قبلت أتعابا كثيرة فى البرارى ولم أجد شيئاً من الراحة حتى خرجت منها فتعال أنت أيضاً » . هذا قاله ليعلن له إنتهاء حياته ... ولما قام القديس فى الصباح ومضى إلى الكنيسة وقدم القربان الطاهر نظر هذه القوة التى على المذبح وهى ترشم الخبز والكأس ، كما قد أعلم قوما من أحبائه عندما طلبوا منه أن يخبرهم الحق .

ومن بعد هذا اقتربت أيام انتقال أبينا الطوباوى وكان هناك شيخان يحبهما كثيراً فأرسل اليهما وقال لهما أتعلمان لماذا أرسلت فى طلبكما فقالا له لا ، فقال لهما انى أرسلت لكما لأتناول معكما قليلا من الطعام فإنى أظن انى لست آكل معكما بعد . ولما

قال هذا حزنا جداً ، فقالا له أترى الله يحرمنا أبوتك المقدسة وتتركنا أيتاما . أما هو فقال لهما إرادة الرب تكون . فلما رآهما متألمين كان يتبسط معهما ليأكلا يسيراً وأكل كلامه معهما وتعزوا جميعا بكلام الحياة الأبدية .

وقد ابتدأ المرض يدب فى جسم القديس رويداً رويداً ، وحتى فى مرضه كان يقسو على ذاته فيقوم بخدمات فكان وهو راقد على مضجعه مريضاً يذكر الوصايا التى فرغ منها . وفيما يلى الوصايا التى وعظ بها .

+ + +

عظة القديس ووصاياه

١ ـ حفظ ايمان الكنيسة

« يا بنى أجعلوا خوف الله بينكم ، إحفظوا إيمان الكنيسة الجامعة إلى الموت وابتعدوا عن كل تحديف الهراطقة حتى السلام عليهم أرفضوه ، وكونوا ثابتين على الإيمان المستقيم فإنه إذا قوم الإنسان كل الأعمال الحسنة ولم يكن له إيمان مستقيم فلن يربح شيئاً . لأن هذا ما قاله يعقوب الرسول ، أنه إذا حفظ الإنسان الناموس كله وسقط فى واحدة منه فقد صار مدانا بالكل ، وبولس الرسول أيضاً يقول ، أنه بدون الإيمان لا يستطيع أحد أن يرضى الله ... فليكن فيكم إذن الايمان العامل بالمحبة .

من أجل هذا يا أولادى اقتنوا لكم إيماناً مستقيما فى الله ، وإذا سقطتم فى تجربة أو مرض أو خسارة أموالكم أو إضطهاد فلا تجعلوا شيئاً من هذا العالم يعرقلكم عن محبة الله . وأيضاً اقتنوا لكم محبة بعضكم البعض .

٢ ـ المحبة

عظيم هو عمل المحبة لأن ربنا يقول فى الإنجيل أنه بهذا يعلم

الجميع أنكم تلاميذى إذا أحببتم بعضكم بعضاً ، وأيضاً بطرس الرسول يقول ان المحبة تستر كثرة الخطايا .

فمن أجل هذا فلتكن هذه الفضيلة مثمرة فيكم وهذه ثمرتها إذا نظرتم واحـــداً فى تجربة أتعبوا معه ، إذا نظرتم مريضاً أفتقدوه ، من ليس له أحد إخدموه ، إذا نظرتم عرياناً أستروه أو جائعاً أشبعوه أو غريباً أقبلوه اليكم ، وإذا رأيتم غاضباً عليكم يبغضكم أقبلوه اليكم بوداعة وأكرموه ـ وإذا كان واحد يجذبكم إلى المزاح أو النميمة أو عمل أمر ردىء أهربوا منه ، فإن هذه الأعمال ليست من الله بل من الشيطان .

كونوا مكرمين لكل أحد ، رحومين متواضعين ، طويلى الروح واغفروا بعضكم لبعض .

٣ ـ الصلاة والوحدة والعبادة

كونوا أيضاً محبين للصلاة والوحدة والعبادة ـ وعمل الصلاة وفعاليتها على هذا النحو : ـ

لا تتركوا ذكر الله كل حين ، دوما تتلونه . تطلبونه على الدوام فى كل موضع . إن كنتم تأكلون أو تشربون ، تمشون فى الطريق أو تعملون عملا ما لأن الصلاة :ـ

(ا) تهدىء ألم القلب ...
(ب) تبيس الشهوة ...
(ج) تطرد الشياطين ...
(د) تزيل الخطية ...
(هـ) تجدد النفس ...

وعلى العموم تجعل كل خطية شريرة غريبة عن الإنسان كما قال مخلصنا فى الإنجيل :

« صلوا لئلا تدخلوا التجارب » .

ويعلمنا بهذا أنه إذا كان الإنسان يصلى كل حين فلن يستطيع شىء من الأفكار الشريرة أى التجارب أن يقف أمامه .

والوحـــدة أيضاً عملها أن تبتعدوا عن كل عمل ردىء ولا تشتغلوا بشىء من هموم هذا العالم ، وذلك أن الوحدة وعدم الاهتمام تجعلان القلب فى هدوء ، فيعرف الإنسان أخطاءه ، ويفهم كل زرع الشيطان وبالجملة يصير الإنسان ممتحنا ومصلحا لذاته ولأخيه .

احفظوا العبادة بثبات ولا تتكاسلوا فيها لأنه فى الوقت الذى يتكاسل فيه الإنسان تصير أفكاره مظلمة . من أجل هذا اقتنوا لكم عبادة محمودة ولا تعملوا أكثر من المقدار أو تسلوا

ذواتكم للانحلال بل حداً محدوداً رتبوه لتقيموا زمانكم كله فى راحة بغير فلق ، لأنه قد قال سليمان الحكيم : لا تصنع البر بزيادة أى لا يسلم الإنسان نفسه إلى عمل أكثر من قوته ، إذا صليتم أو صمتم وإذا أكلتم أو شربتم وإذا رقدتم أو عملتم عملا آخر ففى كل عمل أعملوا بقدر .

٤ ـ الطهارة

اقتنوا لكم الطهارة كما قال بولس الرسول : « اسعوا فى أثر السلام مع كل أحد والطهارة التى بدونها لا يعاين أحد الرب » . وربنا أيضاً يقول : « طوبى لأنقياء القلب لانهم يعاينون الله » . ومن أجل هذا فليكن الاشتياق للطهـــارة فيكم ، فى كل حين تشتهونها ، تتعبدون لكى تصيروا هيا كل مقدسة لله وتشابهون الملائكة . واقتنوا لكم تواضع القلب لبعضكم البعض واطلبوا إلى الله بقوة قلب أن ينعم عليكم بهذا فى كل حين .

٥ ـ التواضع

عمل عظيم هو التواضع لله ـ انه يحل كل قوة الشيطان لأن ربنا لما جاء إلى العالم أخذ شكل مسكنتنا وتواضع حتى الموت موت الصليب ، واحتمل كل عار بتواضع ووداعة مثل ما قال : « تعلموا منى فإنى وديع ومتواضع القلب تجدوا راحة لنفوسكم » . وكان القديس يقول لنا أيضاً : تعلمون يا أولادى أنى لم أسبب ألماً قط لاحد أتى الى قلايتى...

الفصل العاشر

نياحة القديس

ثقل المرض عليه جداً وكان تلاميذه فى بكاء وحزن ولما قرب الطوباوى أن يقنيح لم يتخلّ قط عن ذكر الله ـ بل كان يتلو فى كلامه كعادته فى كل حين .

ولما قربت الساعة التى يخرج فيها من الجسد كان يقول هذه الكلمات : « بنورك نعاين النور » ومرة « تسير من قوة إلى قوة » ولم ينقطع ذكر المخلص من فمه حتى أسلم الروح وأخرج الله نفسه بغير فلق بسكون وراحـــة وهدوء وأكمل سعيه بشيخوخة صالحة فى آخر شهر كيهك ، ومضى إلى الرب الذى أحبه بمجد وكرامـــة .

يقول فى ذلك الأب البطريرك القديس كاتب سيرته : ـ

« عظيم هو الحزن الذى شملنا فى ذلك اليوم من أجل اننا فقدنا أبا كهذا ، كان كل واحـــد يبكى ويطلب أباه ـ الشيوخ يطلبون من كان يعزيهم فى شيخوختهم برحمـــة المسيح ومحبته ،

والشبان يطلبون من كان يهديهم إلى الفضيلة ويعلمهم التواضع والعبادة وقد حزن الكل لنياحته لأنه كان للجميع أبا معزيا ، وكانت نياحته حوالى سنة ٦٧٥ م .

ثم يقول : ـ

لقد كفنا جسده المقدس وقدمنا القـــربان المقدس عليه وحملناه لندفنه ... ويا للأحزان الكثيرة التى كانت فى ذلك الوقت !!!

عندما رفع جسده المقدس كان الجمع كله قد تحرك من قبل الله كل واحد منهم يجتهد أن يلمس جسده المقدس ليأخذ شيئاً يسيراً من كفنه ـ حتى أنه بأتعاب كثيرة استطعنا أن نتركه إلى آبائه بمجد وكرامة . وبلغ عمره تسعين عاما [1] ، وكان ذهنه صافياً ولم يتغير عن عبادته البتة بل كان فرحا فى العبادة إلى هذا الحد بالتقشف العظيم والصلوات ، حتى أنه لم يستطع أحد من الجدد فى سيرة الرهبنة بلوغ ما وصل اليه فقد وصل إلى هذه

(١) ذكرت مصادر كثيرة منها كتاب « قديسو مصر » د . أولبرى » وكتاب « أديرة وادى النطرون » ايفلين هوايت » أن نياحته كانت حوالى سنة ٦٧٥ م ـ واذ بلغ ٩٠ عاما كما أوضحت المخطوطة فيكون ميلاده حوالى سنة ٥٨٥ م وهو ماذكرناه سابقا .

الشيخوخة وهو منفرد فى قلايته يصنع مطانيات كثيرة فى كل يوم فى وحدته كل حين لعظم اشتياقه إلى الله وكان يهرب من كل هموم العالم وكان وديعا مع كل أحد حلو اللسان فى كلامه متواضعاً فى قلبه رؤوفا رحيما بكل أحد ، كاملا فى كل فضيلة ، بركة صلواته تكون معنا آمين .

+ + +

الفصل الحادى عشر

عود إلى برية القديس مكاريوس

فى أيام القديس يحنس

إذا ما ذكرنا إسقيط القديس مكاريوس أو برية القديس مكاريوس يرد إلى خاطرنا حالا ذكرى ذلك العظيم القديس مكاريوس الكبير (٣٠١ - ٣٩٠ م) مؤسس الرهبنة ، أبى جميع الرهبان وسيد الإسقيط ، معلم الفلاسفة وأولاد الملوك الذى جذب الكثيرين بسيرته وسيرة أولاده فاشتاقوا إلى ترك العالم ليعيشوا متتلذذين على يديه . ومنهم من زار الدير فتأججت نيران الغيرة المقدسة فى قلوبهم ، وبعضهم كان رسولا يحمل هدايا للدير فلم يعد لبلاده وقدم ذاته قرباناً لله .

كانت البرية فى أيامه زاخرة بالرهبان القديسين تضم أكثر من ٢٥٠٠ راهباً أو قديساً فقد كانت جامعة كبيرة تخرج فيها فطاحل القديسين ، أولاده عمالقة منهم أمثال الأنبا أرسانيوس ومكسيموس ودوماديوس وايسيذورس قس القلالى وبمويه وأولاد أولاده ، الأنبا بيشوى ويحنس القصير تلميذى الآب بمو ، وموسى الأسود تلميذ القديس ايسيذورس .

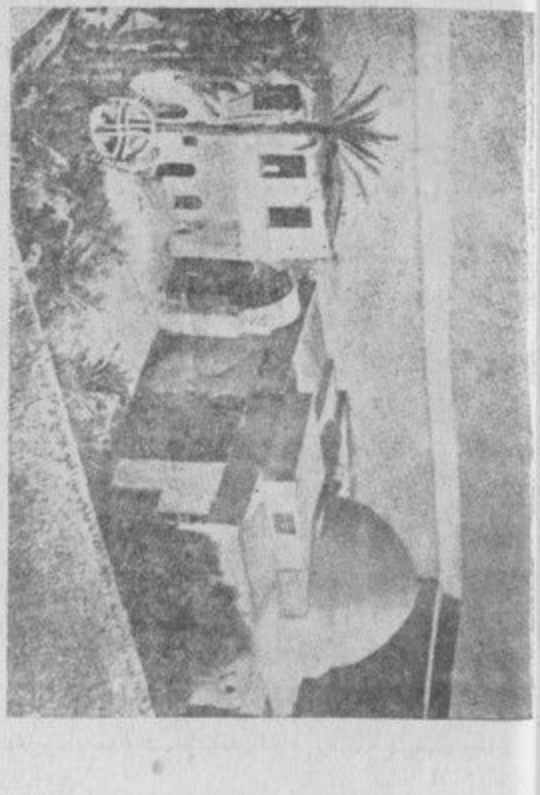

إنه شجرة مورقة مغروسة على جداول المياه كانت بالأثمار محملة فأزهرت وأينعت زهوراً عطرة فاحت رائحتها الزكية ليس فى مصر فحسب بل فى العالم أجمع ، أنه علم من أعلام الرهبنة فى القرن الرابع كما كان القديس أنبا يحنس القمص مصباح البرية المنير فى القرن السابع ، وكانت الرهبنة فى عهـــده قوية جداً واستمدت قوتها من روحانية هذا الآب الجليل أنبا يحنس.

كان دير القديس مكاريوس فى أيام القديس أنبـــا يحنس ذا شهرة ذائعة وتكاثر عدد الرهبان جداً إذ يذكر التاريخ أنه بعد الفتح العربى فى القرن السابع وعـــودة البابا أنبا بنيامين البطريرك ٣٨ (٦٢٢ - ٦٦١ م) إلى كرسيه حدثت حركة تعمير وإعادة بناء واسعة النطاق للأديرة ، ويذكر أن وفداً من رهبان دير آبا مقار طلبوا إلى البطريرك أن يكرس لهم الكنيسة الجديدة وهى القائمة الآن حيث قد تهدمت الكنيسة القديمة . وقد تم نقل أجساد القسعة وأربعين شيخا إلى الدير باحتفال رهيب ومما قاله الآب البطريرك البابا بنيامين فى وصفه:

« ... فلما قربنا من الدير خرج للقائنا فتيان بأيديهم سعف النخل وجاء بعدهم الشيوخ حاملين المجامر وصلبانا يسبحون بألحان

وتراتيل . وعندما خرج الشيوخ اهتز الجبل جميعه من كثرتهم وصفوفهم مثل جند السماء ... » .

فى عصر البابا بنيامين كان الرهبان يعدون بالآلاف ولما خلفه البطريرك أنبا أغاثو البطريرك ٣٩ كثر الرهبان جداً فبنوا قلالى كثيرة حول الدير أشبه بأديرة صغيرة . وكان لابد من إقامتها لتكاثر الرهبان بدير القديس مكاريوس الكبير ولضيق الدير الاصلى بهم وكانت تنسب إما إلى بلد رهبان القلاية أو إلى راهب ممتاز بين الاخوة .

وهذا المشروع - مشروع بناء القلالى الكبيرة نفذ فى أيام القديس العظيم أنبا يحنس صاحب السيرة الذى بذل قصارى جهده فى انجازه وأهتم أيضاً باصلاح أديرة البرية وتعميرها .

وفى أيامه إزدهـــرت الرهبنة وذلك بالرغم من الظروف القاسية التى مرت بها ، وكما أمتازت الرهبنة فى القرن الرابع بظهور القديس العظيم مكاريوس الكبير ، هكذا فى القرن السابع زهت بشخصية القديس أنبا يؤانس . نعمت الكنيسة بعصرها الذهبى فى القرن الرابع لكنها لم تقف عند هذا القرن لأن الكنيسة المبنية على صخر الدهور لاينساها راعيها الاعظم على مر الأزمان .

الفصل الثانى عشر

تلاميذ القديس

تبدو لنا عظمة القديس أنبا يحنس الحقيقيـــة بوضوح من خلال عظمة تلاميذه ، فقد علمهم ودربهم فنهجوا نهجـــه وسلكوا تحت إرشاده الروحى .

ان شجرة القديس يوحنا الروحيـة أينعت وأثمرت ونذكر فيما يلى على سبيل المثال بعض القديسين العظام ...

ومن تلاميذه ابياخس والكوكبان العظيمان أنبا افرآم وأنبا جورجى والقديس زكريا الذى صار أسقفاً على كرسى « صا »[1] كما تتلمذ للقديسين ابرآم وجورجى كثيرون من الآباء الكبار منهم الأنبا أغاثون العمـــودى والأنبا زكريا أسقف صخا ، بيتولوميثوس أسقف منوف العلا ، الانبا مينا أسقف تمى .

+ + +

(١) سيرته مدرجة بكتابنا « البطريرك أنبا اسحق ٤١ » .

١ – القديس ابياخس

ذكر ايفلين هوايت فى كتابه أديرة وادى النطرون الجزء الثانى ص ٢٧٧ أنه كان للقديس يوحنا قص شيبيت تلميذاً محبوباً ممتازاً هو القديس ابياخس من « أروات » ، وعاش أكثر من مائة عام .

هذا القديس كان رئيساً لدير قرب تنيس فى الجنوب الغربى لبحيرة المنزلة على بعد عشرة أميال من بورسعيد ، ثم أسقفاً للفرما فى أيام بطريركية الأنبا ميخائيل الأول (٧٤٤ - ٧٦٨ م) ولد حوالى سنة ٦٥٠ م وذهب الى الإسقيط فى سن مبكر وكان عمره حوالى ١٨ سنة أى عام ٦٦٨ م ، ويرجح أنه قضى تحت إرشاد أنبا يحنس القمص حوالى سبع سنوات .

وقد طالت أيام هذا الآب وتنيح حوالى سنة ٧٥٠ م بالغا من العمر حوالى مائة عام ، وكان ذا شهرة ذائعة فى القداسة وأبا روحياً للقديسين ابرآم وجورجى أشهر تلاميذ الانبا يحنس .

٢- القديس أنبا ابرآم

من الشخصيات البارزة فى الرهبنة فى القرن السابع، ولد حوالى سنة ٦٠٨ م وكان أبوه محباً للمساكين واتفق حدوث غلاء فى مصر فأنفق كل ماله على المساكين، وكانت أمه تخاف الله فحسدها الشيطان وأوقعها بيد الفرس (٦١٧ - ٦٢٧ م) لتهمة باطلة فأخذوها أسيرة إلى بلادهم ، وذات ليلة رأت فى رؤيا الليل من يقول لها: « ستعودين إلى وطنك ، وقد تم لها ذلك القول وعادت .

ولما بلغ من العمر حوالى ٣٥ سنة تنيح والده وأرادت أمه أن تزوجه فأبى لأنه كان يرغب فى أن يقدم نفسه قرباناً طاهراً لله ومضى إلى برية شيهيت حوالى سنة ٦٤٢ م حيث ترهب عند الأنبا يؤانس قمص البرية وصار له إبناً خاصاً ، وقد أجهد نفسه بأصوام وعبادات كثيرة .

وجال القديس أنبا ابرآم سائحاً فى الجبل فوجد أنبا جورجى وكان راهباً فى جبل « أوريون » فتوطدت بينهما الصداقة والمحبة الروحية وترك الأنبا جورجى مقره وأقام معه فى دير القديس مكاريوس وظلا فى عبادة حارة ونسك زائد إلى أن تنيح الأنبا

يحنس قمص البرية ، وكانت فلايتها شهيرة ومعروفة باسم فلاية « بنيج » وهى من معالم شيهيت حتى القرن الرابع عشر، وقد عاون هو وزميله البطريرك الأنبا بنيامين ٣٨ فى تعمير الكنائس والأديرة .

ومرض القديس ابرآم مدة ١٨ عاما ولما قربت ساعة إنتقاله طلب أن يتناول من الأسرار المقدسة فناولوه وتنيح بسلام سنة ٦٩٣ ، وكان قبره وقبر زميله مزاراً لكثير من البطاركة الذين كانوا يفدون إلى البرية ، وتعيد له الكنيسة فى ٩ طوبه .

+ + +

٣- القديس أنبا جورجى

ولد من أبوين مسيحيين قديسين وكان يرعى غنم أبيه ومنذ حداثته مال إلى الرهبنة فلما بلغ من العمر أربعة عشر سنة ترك الغنم وقصد برية القديس مكاريوس وبينما كان سائراً فى الطريق تراءى له الشيطان فى زى شيخ وقال له :

« ان أباك ظن أن وحشاً افترسك فشق ثيابه حزنا عليك ـ فواجبك أن تعود اليه لتطيب خاطره ثم تذهب إلى البرية » فدهش القديس لذلك وتذكر قول الرب ، « من احب أبا أو أما أكثر منى فلا يستحقنى »[1] وبعد ذلك انصرف عنه الشيطان .

وبعد مضى القديس جورجى إلى جبل أوريون وترهب هناك ولما توجه الأنبا ابرآم لزيارة دير القديس مكاريوس الكبير صحبه معه إلى الدير . وشارك الأنبا ابرآم فلايته حتى نياحته .

ولما أكمل الآب جهاده الحسن تنيح بسلام وذلك بعد نياحة صديقه الأنبا ابرآم . وكانت سنو حياته ٧٢ سنة منها ١٤ سنة فى العالم و٥٨ سنة للنسك والعبادة .

---

(١) مت ١٠ : ٣٧ .

وظلت فلايتها مكرمة لقرون طويلة بعد نياحتها يزورها الكثيرون وحتى القرن الرابع عشر وتعيد له الكنيسة فى ١٨ بشنس.

وظلت مغارة القديسين ابرآم وجورجى مزاراً مقدساً يتبركون منه وروى عن البطريرك الأنبا بطرس الخامس أنه عند ما زار الأديرة فى سنة ١٣٤٠م انطلق إلى دير القديس مكاريوس الكبير وزار مدافن الآباء البطاركة وبعد الصلاة توجه الموكب نحو مغارة الراهبين القديسين ابرآم وجورجى وصلى صلاة الترحيم وذكر أيضاً عن الأنبا بنيامين الثانى البطريرك ٨٢ فى القرن الرابع عشر أيضاً أنه عند زيارته للأديرة لم يفته زيارة مقبرة هذين القديسين العظيمين .

وكان الآباء الكبار يقاسون الكثير من المتاعب لدى زيارة الأديرة حيث كان الطريق الصحراوى وعراً وشاقاً فيذكر عن البطريرك الأنبا بنيامين الثانى أنه عند عودته من زيارة دير القديس مكاريوس الكبير إلى مقر كرسيه أنه نام فى الصحراء حوالى ثلاث ساعات قبل منتصف الليل ووصل إلى دير نهيا قرب الجيزة فى الساعة الثامنة صباحاً ومنها إلى كنيسة المعلقة بمصر .

٢ـ القديس أنبا يحنس القصير (القرن الرابع)

القديس أنبا يحنس القصير

ولد حوالى سنة ٣٣٩ م بطيبه بأقصى الصعيد ، ولما بلغ من العمر ثمانى عشرة سنة مضى إلى شيهيت وتتلمذ لأنبا بموا [1] تلميذ القديس مكاريوس وخدمه لمدة اثنى عشر سنة فى مرضه ، وقد أخبر قبيل وفاته القديس أنبا يحنس أن يجعل مسكنه قريبا من الشجرة التى زرعها ـ وهى العصا التى كان يسقيها لمدة ثلاث سنوات طاعة لأمر معلمه حتى أورقت وسميت شجرة الطاعة .

وبعد وفاته انتقل القديس يوحنا قريباً من الشجرة المذكورة وعمل لنفسه مغارة حفر بجوارها بئراً . وتتلمذ له كثيرون فى هذا المكان ، ورسمه البابا فيلوثيئوس ٢٣ (٣٨٥-٤١٢ م) كاهناً .

وقد بنى القديس يوحنا ديراً باسمه يبعد حوالى ١٠ كم تقريبا

---

(١) يجب عدم الخلط بين القديس أنبا بموا تلميذ القديس مكاريوس الكبير فى القرن الرابع وبين القديس أنبا بموا الذى كان فى القرن الخامس والذى ورد عنه فى سيرة الأنبا كاراس أنه كفن ايلاريا ابنة الملك زينون ـ وورد فى السيرة خبر نياحة أنبا شنوده رئيس المتوحدين قبل نياحة الأنبا كاراس بيوم ـ والأنبا شنوده تنيح حوالى سنة ٤٥١ م .

من دير القديس مكاريوس وظل قائماً حتى القرن الرابع عشر ثم خرب .

ومما امتاز به هذا الآب أنه كان عندما يقدس الأسرار يعرف من يستحق التناول ومن لا يستحق .

ورغم أقدميته لم يتول قيادة الرهبان بعد نياحة القديس مكاريوس الكبير بل تولى خلفه القديس بفنوتيوس وكان يلقب بأبى برية شيهيت .

ولما هجم البربر على شيهيت حوالى سنة ٤٠٨ م هرب القديس أنبا يحنس القصير إلى صحراء القلزم فى الصحراء الشرقية بين وادى النيل والبحر الأحمر ، وبعد أن أكمل سعيه الصالح تنيح بسلام فى هذه الجهة حوالى سنة ٤٠٩ م [1] ونقل جسده إلى ديره ببرية شيهيت بتاريخ ٨٠٩/٨/٢٣ م .

٣ـ القديس أنبا يحنس كاما القس (القرن التاسع)

---

(١) شاهد كل من الأنبا يحنس القصير والأنبا بيشوى غارة البربر الأولى على برية شيهيت سنة ٤٠٨ م ، أما الأنبا بيشوى فقد ترك البرية الى جبل اقصنا فى صعيد مصر وتنيح فى هذا الجبل . ولما هدأت الأحوال نقل جسده وجسد أنبا بولا الطموى الى دير أبو بيشوى ولا يزالان موجودين الى يومنا هذا .

القديس أنبا يحنس كاما (١)

ولد فى قرية شبرا منصو من أعمال صا بمركز كفر الزيات من أبوين مسيحيين خائفين من الله ولم يكن لهما سواه فزوجاه بغير إرادته. فلما دخل إلى خدره وقف وصلى كثيراً ثم تقدم إلى الصبية وقال لها : « يا أختى أنت تعرفين أن العالم يزول وكل ما فيه ، فهل لك أن توافقينى على حفظ جسدينا طاهرين ، فأجابته قائلة ان هذا كل ما أتمناه ، فاتفق الاثنان على ذلك وأقاما زمانا ، ثم قال لزوجته انى أشتهى الذهاب إلى البرية ولكنى لا أفعل ذلك إلا برضائك ، فأجابته إلى طلبه ، عندئذ تركها فى أحد ديارات العذارى وصارت فيما بعد رئيسة دير فاضلة ، أما هو فقصد دير القديس مكاريوس الكبير وترهب هناك ، ففاح عبير فضائله وكان يتزايد فى التقشف والصوم والصلاة ، ثم رسم قساً بغير إرادته ولما كان واقفاً أمام المذبح وبدأ القداس الطاهر حل مجد الله على المذبح مثل النار فلما نظر الأب القديس هذا المنظر مجد الله .

ظهر له ملاك الرب وأمره أن يمضى إلى غرب دير الأنبا يحنس

(١) هو من نفس بلدة القديس أنبا يحنس القمص وربما يكون ميلاد أنبا يحنس كاما فى أواخر القرن الثامن .

القصير ويبنى له هناك مسكناً فمضى وفعل كما أمره الملاك فاجتمع حوله ثلثمائة أخ وبنى لهم أماكن كثيرة وعلمهم الصلوات والابصلمودية ، ثم بنى كنيسة على اسم السيدة العذراء مريم، ومن ذلك الوقت اطلقوا على هذا المكان اسم ديره الأنبا يوحنا كاماء وفيما بعد دعوه باسم دير السيدة العذراء . وقيل أن السبب فى ذلك هو أن السيدة والدة الإله قالت لهذا القديس فى رؤيا الليل: « أن هذا المكان هو مسكنى إلى الأبد وأنى سأكون مع أولادك كما كنت معك » .

ويجب عدم الخلط بين دير السريان الحالى وبين دير أنبا يحنس كاما الخرب الذى كان فى القرن التاسع وظل قائماً إلى ما بعد منتصف القرن الرابع عشر ثم خرب (وقد ذكر أن أنبا غبريال الرابع زار هذا الدير سنة ١٣٧٤ م بعد ما كرس المير ون فى دير آبا مقار) وهذا الدير هو الذى كان مقراً للقديس أثناء حياته ، أما دير السريان الحالى المسمى أيضاً بدير أبو يحنس كاما فإنه سمى كذلك إكراماً لرفاته الموجودة به ، ومما روته التقاليد أنه بعد خراب دير القديس يحنس كاما التجأ الرهبان الذين كانوا يقطنون فيه إلى دير السريان الحالى ... (كتاب سيرة الأنبا يحنس كاما لدير السريان) .

وطلب منه رهبان كثيرون من الصعيد أن يكونوا تحت رعايته فأرسل اليهم أخا اسمه شنودة لتدبيرهم.

ولما أكمل سعيه الصالح تنيح بسلام فى ٢٥ كيهك سنة ٥٧٥ ش ٣ يناير سنة ٨٥٩م. ويقام له احتفال كبير كل عام فى دير السريان وسيرته مذكورة بالسنكسار تحت اليوم الخامس والعشرين من شهر كيهك. بركة صلاته تكون معنا آمين.

ونلاحظ أنه فى القراءات الكنسية لعدم الخلط بين البؤنسين القديسين يوضح قرين اسم كل منهم الآتى :-

١ - أنبا يحنس القمص.

٢ - أنبا يحنس القصير.

٣ - أنبا يحنس كاما.

بركاتهم تشملنا الى النفس الأخير آمين ؟